

كتاب الطريق إلى الله تعالى

اسم الكتاب:	الطريق إلى الله تعالى
اسم المؤلف:	الشيخ حسين بن علي البحراني
تحقيق وتعليق:	الشيخ حبيب الكاظمي
التعريف بالكتاب:	هذا الكتاب قد عرفه صاحب الذريعة نقلا عن بعض الاعلام قائلا : (ما رأيت كلاماً أحسن من كلامه في باب الأخلاق ، اللهم إلا بيانات جمال السالكين السيد رضي الدين علي بن طاووس .) وذكر في التكملة : ان مؤلفه من متأخري المتأخرين من فقهاء النجف و علمائها ، في الحديث والرجال..الذريعة ١/٣٧٢. وقال عنه السيد محسن الامين : (وقال بعض من رآها : إنها من أحسن ما كتب في هذا الفن ، وبعض قال : إنها رسالة في السلوك على طريقة أهل البيت) .. أعيان الشيعة.6/119 :

واليكم فصول هذا الكتاب القيم :

الفصل	تسلسل
تعريف بالكتاب والمؤلف	(1)
مقدمة المؤلف	(2)
الباب الأول : في الحاجة إلى تهذيب الأخلاق	(3)
الباب الثاني : في رجحان الخوض في علم الأخلاق	(4)
الباب الثالث: في بيان أن الله خلقنا للسعادة الدائمة	(5)
الباب الرابع : في ذكر بعض الطرق إلى الله تعالى	(6)
الباب الخامس : في إيضاح عجز الإنسان من حيث هو	(7)
الباب السادس : وكيف يسلك عباد الله الطريق إليه	(8)
الباب السابع : كيف نسلك الطريق إلى الله ؟	(9)
الباب الثامن : لا يكمل إيمان المؤمن حتى تكون فيه خصال	(10)
الباب التاسع : في الرضا بالقضاء	(11)
الباب العاشر: فيما يتبع الرضا بالقضاء من التوكل والتفويض والتسليم	(12)
الباب الحادي عشر : في أنّ لأهل الإيمان درجات يتفاضلون فيما بينهم في حدودها	(13)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الذين تمّم الله تعالى بهم مكارم الأخلاق ، واللجنة وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين ،
- فضائلهم من أول الدنيا إلى أبد الأبدین على أعدائهم ومنكري
يعدّ واحداً من أفضل ما كتب في الأخلاق العملية إنّ هذا الكتاب الذي بين يديك ،
: بلحاظ

سواء في عالم الملفوظات أو المكتوبات .. فمن فإنّ خير الكلام ما قلّ ودلّ ، : **اختصاره وتركيزه**
الموضوع الواحد - وإن كان نافعاً - قد يوزع ذهن المستفيد ، ولهذا المعلوم أنّ الكلام الكثير في
المتعارفة القرآن الكريم الذي يحقق سعادة الخلق باتباعه ، لا يتجاوز في حجمه حجم الكتب نلاحظ
- في هذه الأيام

الأخلاق ، وعدم التركيز على مجالٍ على حساب مجالٍ آخر: فالبعض ينظر إلى **جامعيته واعتداله**
إلى ختمه ، ومن أربعينية إلى من زاوية العبادات اللفظية ، فينتقل من وردٍ إلى وردٍ ، ومن ختمه
الملكوت في ليلةٍ واحدةٍ بورٍ معينٍ ، ناسياً أنّ الطريق هو ما أربعينية ، وكأنّ العبد يتحول إلى عالم
بالأمور القرآن من الإستقامة والمجاهدة والسعي في العمل بكل حذافير الشريعة ، بدءاً دعا إليه
والمكروهات ، وانتهاءً بالأمور الفردية من القيام بالواجبات وترك المحرمات ، ومروراً بالمستحبات
.. الميدان مع اعداء الله تعالى الإجتماعية ، ولو استلزم أن يكون قتالاً في
- هذه الجامعية التي اتسم بها هذا التأليف وقد أشرنا في مطاوي الكتاب إلى صور من

تطبيقية يلتزم بها الإنسان عند الممارسة ، فنرى المؤلف يميل إلى عرض الأخلاق كصور : **واقعيته**
المعقدة التي هي أشبه بالطلاسم والألغاز .. وكأنّ صاحبها يريد أن يثبت بدلاً من مجموعة من الأفكار
تجد في طياته نقطة فضله العلمي وتفوقه على أقرانه ، فتقرأ الكتاب المرة أو المرتين من دون أن بها
- سلوكه بدلاً من الترف العلمي المجرد واحدة تطبيقية تُمارس في ساحة الحياة ، يغيّر بها الإنسان

: التزامه بمنهج اهل البيت

مجالاً إلا واستشهد فيها بحديثٍ مأثور مما روى عن هداة الخلق (ع) ، مما فلا يكاد المؤلف يدع
على ما عمق التزام المؤلف بضرورة عرض كلّ كبيرةٍ وصغيرةٍ في الحركة إلى الله تعالى يعكس
.. المختلفة ورد عنهم (ع) ، وهو كثيرٌ في تراثهم المدون في المجاميع الروائية

أهل البيت (ع) مصيره الوقوع إما في : مكائد إننا نعتقد أنّ كلّ سالكٍ إلى الله تعالى بجانبٍ لمنهج
ويكفي أحدهما للهلاك الدائم ، فكيف إذا اجتمع عاملاً للهلاك في أنّ الشيطان ، أو في خدع النفس ،
: واحد

إذ المطلوب ليس هو دخول ..! فهل يرد الواردون على السلطان من غير الباب الذي أمرهم بطرقه ؟
بدّ من أن يكون من الأبواب التي أمرنا بطرقها الدار - وإن كان الدخول مطلوباً - كيفما اتفق ، بل لا
سارقٌ ، وإن كان بداعي الوصول إليك ، وملازمة الخدمة بين يديك .. فالداخل عليك من سطح الدار
..

قرأ كتابه ، ممن أوتي حسن ولقد وفق الله تعالى المؤلف ، فجعل لكلامته حلاوةً يستذوقها كلّ من
يدخل في القلب ، فقد ذكر عنه السيد محسن الأمين التذوق في هذا المجال .. فإنّ ما يخرج من القلب
: الشيعة قانلاً - قدس سره - في أعيان

البحراني عالم فاضل أخلاقياً من متأخري المتأخرين ، من فقهاء الشيخ حسين بن علي بن صادق هذا الكتاب و علمائها في الحديث والرجال والعرفان ، رأينا له رسالة في الأخلاق - يشير إلى النجف : - ثم يقول

مشخصاتها ، وقال بعض من رآها : إنها من أحسن ما كتب و إنها رسالة حسنة ، ولم يبق ببالي الآن إنها رسالة في السلوك على طريقة أهل البيت - أعيان الشيعة : ١١٩/٦ : في هذا الفن ، وبعض قال

: الطهراني ، في كتابه (الذريعة) قائلاً وقد ذكر عن كتابه البحاثة المحقق الكبير الشيخ أغا بزرك

ما رأيت : في مكتبة سيدنا العلامة الحسن صدر الدين الكاظمي ، وكان يستحسنه كثيراً ويقول رأيت السالكين السيد رضي الدين علي بن كلاماً أحسن من كلامه في باب الأخلاق ، اللهم إلا بيانات جمال طاووس

متأخري المتأخرين من فقهاء النجف و علمائها في الحديث والرجال - وذكر في التكملة أن مؤلفه من 1/372- الذريعة

: وقال عنه المحدث القمي في الكنى واللقاب

علي بن صادق البحراني في رسالته في الاخلاق قال الشيخ الجليل العارف الرباني الشيخ حسين بن البيت (ع) - الكنى واللقاب : ١/٣٢٩ والسلوك الى الله على طريقة أهل

الكثير في كتب التراجم سوى ما ذكرناه آنفاً ، إلا أنّ جلاله الكاتب تتجلى والمؤلف وإن لم يُذكر عنه في القلوب المتعطشة خلال ما كتبه ، فإنّ الكتاب مرآة لكاتبه وخاصة إذا لاحظنا انسيابية أفكاره من مجتمعنا اليوم ، الذي شغلته الدنيا بما لم يتفق له لهذا النمط من الكتابات ، التي لا بدّ من طرحها على - نظير في التاريخ

في تاريخ الإنسان .. فلم نعهد على الأرض هذه الصور من الإفتتان التي تعرض بشكل غير معهود الشهوة والغضب ، ومكابذته لعدوّ خبيرٍ فالإنسان لا زال هو بقدراته المحدودة وضعفه أمام قوتي بينما صور الإغراء - وهي سهام إبليس في كل المجالات - ، (في الإغواء منذ أن خلق آدم (ع) موجبات وشيوعاً يوماً فيوماً ، ولا ندري إلى أين تصل هذه القافلة المتسارعة نحو تزداد تكاملاً - الردى والهلاك ؟

يكرّسوا جهودهم من أجل طرح جديد لمقاومة هذه الأمواج نّ على المعنيين بشؤون النفس ، أن شياطين الجنّ والإنس .. فلم يعد أسلوب الوعظ القديم ، وبعض المناهج المتلاطمة التي تثيرها الخالية القائمة على أسلوب التوصيات العامة المجردة من التجزيئ ، والطلبات التنظيرية الأخلاقية - ومقتضيات الشرع من الأساليب العملية ، كافياً لردع النفوس الحائرة بين مقتضيات الطبع

العقبات الجديدة ، وبأسلوبٍ علميٍّ متدرج ، إننا بحاجة إلى كتابة أخرى بلغة العصر ، وبلحاظ ، فإنّ رياضة النفس كرياضة الأبدان لها قواعدها ، ولا يمكن وبخطواتٍ عمليةٍ تطبيقيةٍ واضحةٍ - بالمرحلية أولاً ، وفي الميدان العملي ثانياً تحقيق نتائجها إلا

فرصة ، وتنوياً للنقاط المهمة في كتاب المؤلف ، فإننا حاولنا استغلال ما أمكن من وإكمالاً للفائدة ، مع الإشارة الي مصادر الأحاديث .. للتعليق على تلك النقاط بما يزيد الأمر وضوحاً ، والفكرة تركيزاً من التنويه الى اننا لم نجد مصادر بعض الاحاديث في الطبعة المحققة الأولى.. ولا بد التي لم ترد المصنف نقله بالمعنى كما ذكر في اول كتابه قائلاً: (ولا تحر لنقل التي وردت في الكتاب ، لان

. (الالفاظ فان المقصود مجرد الاشارة خصوصا

طالما بمنته وكرمه - في ثواب ما سجّله يراع هذا العالم الرباني في كتابه ، الذي - أشركنا الله تعالى
. عالم الملكوت أخذ بمجامع القلوب التي تهفو الى الخلاص من أسر المادة ، والعروج الى

كتابه - كما ذكر في آخر كتابه - وتمني ان واخيرا نقول : يبدو ان القضاء حال دون أن يتم المؤلف
فنسال الله عز وجل ان يجعل ما علقناه على كتابه ، بمثابة هذا التتميم يخلف عليه من يتم هذا الكلام ،
. تمناه .. بلغ الله تعالى امانيه في عالم الآخرة الذي

**كما ذكر في آخر كتابه - وتمني - واخيرا نقول : يبدو ان القضاء حال دون أن يتم المؤلف كتابه
عز وجل ان يجعل ما علقناه على كتابه ، بمثابة هذا ان يخلف عليه من يتم هذا الكلام ، فنسال الله
. الله تعالى امانيه في عالم الآخرة التتميم الذي تمناه .. بلغ
ربنا واجعل سعيانا في تحبيب القلوب اليك ، فمن اولى منك .. ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
..! الذي اردته حرما لك ، وقد جعلناه مأوى لكل فان سواك ؟ ليسكن هذا القلب ،
. ان الحمد لله رب العالمين وأخذ دعوانا**

حبيب الكاظمي

ذو الحجة ١٤٢٢ 3

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على خيرته المنتخبين ، وصفوته المنتجبين ، الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ،
العالمين ، محمد وآله الطاهرين ومظهر لطفه في

الفاني حسين بن علي بن صادق البحراني : إني مستعينٌ بربي وبعد، فيقول العبدالجاني ، والأسير
لشيعتهم ، (ومتوجّهٌ إليه بأحبّ الخلق إليه ، في جمع نبيّ من نصائح أهل البيت (ع) ومتوكّلٌ عليه ،
المظلّمة من مخالطة الأهوية والشهوات وإرشادهم لمواليهم ، التي بها حياة قلوبهم ، واستنارة عقولهم
وأرجو من الله الإمداد والإسناد ، وأن يجعله ذخراً لي المكثّرة من خطرات المعاصي والسيئات ،
الكريم الجواد ، وعليه التوكّل والاعتماد ، وهو حسبي ونعم الوكيل ليوم المعاد ، إنه

والتنبيه على هذه النكتات ، ولنقدّم لذلك مقدّمهً ، يظهر منها ما هو الغرض من إثبات هذه الكلمات ،
للباطل ، بجمع ما استفدت من آثار أهل البيت (ع) ، في ذلك أي كثيراً ما كنت أمّني نفسي الميالة
الغافلة ، والإحياء لهذه النفوس الميتة ، بإدبارها عن الله وإعراضها عنه ، الإيقاظ لهذه القلوب
فإنّ العلم إذا لم فيمنعني عن ذلك عدم نشاطي للعمل ، وملازمتي للكسل ، فيكون ذلك وبالاً عليّ ،
التأثير في القلوب ، لما اشتملت عليه أخبار يُعمل به لا يزيد صاحبه إلا بُعداً من الله ، ولا يُرجى به
لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب .. الكافي : ٤٤/١ أهل البيت (ع) ، من أن العالم إذا

تفيد ، تقضّي العمر ، ومشارفة الأجل ، ورأيت أنّ التسويات لا تجدي ، والتعلّلات لا ولما رأيت
استخرتُ الله سبحانه ، وقصدتُ أن وقادني إلى ذلك التماس بعض الأحبّة ، وإرادة جملة من الخلّان ،
غفلتها ، ورجوت فيه اليمن والبركة بسبب كونه إجابة يكون ذلك تذكرةً لنفسي ، عسى أن تتنبّه عن
إلى الله سبحانه في خدمة أخبار أهل البيت (ع) ، ورجوت منه أن يشرفني الإخوان في الله ، وتقربه
بذلك .

أهل البيت (ع) في أبواب متفرّقة ، وأصولٍ ٍ فعزمت بحول الله وقوته على جمع مضامين من أخبار
ولا تحرّ لنقل خصوص الألفاظ ، فإنّ مضامينها بعد التنبيه عليها ، متعدّدة ، من غير ذكر الأسانيد ،
مجرد الإشارة ، لها مما تصدّقها العقول السليمة ، وتشهد بها الفطرة المستقيمة ، فإنّ المقصود والتنبيه
. والاستعانة بالله ، ومنه التوفيق للعمل ، وعليه المنكل

الباب الأول. في الحاجة إلى تهذيب الأخلاق ، وبيان ثمرته وشدة الاعتناء بشأنه

اعلم أيديك الله أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . البحار : ٣٨٢/٦٨ ولا التباس في ذلك ، فإنّ أمر المعاد والمعاش لا ينتظم ، ولا يتنهأ طالبه إلا بالخلق الكريم ، فلا تتوهم أن العمل الصالح الكثير ينفع من دون تهذيب الخلق وتقويمه ، بل يجيئ الخلق السيئ فيفسد العمل الصالح ، كما يفسد الخلّ العسل [الكافي : ٣٢١/٢] .. فأين نفع فيما عاقبته الفساد؟ .

ولا تتوهم أنّ العلم الكثير ينفع من دون إصلاح الخلق وتهذيبه ، حاشا وكلا ، فإنّ أهل البيت عليهم السلام قالوا: لا تكونوا علماء جبارين ، فيذهب بحقكم باطلكم . أمالي الصدوق : ٢٩٤/٩

ولا تتوهم أنّ صاحب الخلق السيئ ، يقدر أن يتنهأ (1) بمعاشرة والد أو ولد أو زوج

(1) إنّ هذا المدخل الذي دخل منه المؤلف مدخلاً مهمّاً لجذب النفوس التي لا تستجلبها المعاني الإلهية التي تحتاج إلى بلوغ روعي ، كطلب درجة الرضوان الإلهي ، والنظر إلى الوجه الكريم وغير ذلك .. فليس هناك عاقل لا يريد السعادة الإجتماعية والحياة الدنيوية المستقرّة إلى جانب الرغبة في العاقبة الحميدة ، سواء في البرزخ أو القيامة .. وعليه فإنّ سلوك هذا الطريق يضمن الاطمئنان القلبي والاستقرار الاجتماعي ، وهما الضالتان التي فقدهما أهل الدنيا باتباعهم عن نهج السماء . (المحقق)

..... أو صديق أو رفيق أو دار أو أستاذ أو تلميذ .. كلا ، بل كلهم يتأثرون منه وينفرون عنه ، وكيف يمكنه اكتساب الكمالات المتفرقة في الناس ، وأهل الكمال ينفرون منه ويهربون عنه ؟ !..

واعلم أنّ من نظر إلى طريقة أهل البيت عليهم السلام ، وتتبع في آثارهم وجد هدايتهم للخلق ، وجلبهم للدين ، إنما هو بأخلاقهم الكريمة ، وبذلك أمروا شيعتهم فقالوا : كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم . الكافي : ٤٦/٢ .. بل يعنون بأخلاقكم الكريمة ، وأفعالكم الجميلة ، حتى تكونوا قدوة لمن اقتدى ، وأسوة لمن تأسى .

فإذا ظهر أنّ أمر المعاش والمعاد إنما يتّمان بمكارم الأخلاق ، وإنّ إتمام مكارم الأخلاق هو فائدة البعثة ، التي ما صلح الوجود إلا بها ، تبين أنّ تهذيب الأخلاق مقدّم على كلّ واجب وأهم من كل لازم ، ومع ذلك هو مفتاح كل خير ، والمنبع لكل حسن ، والجالب لكل ثمرة ، والمبدأ لكل غاية .

انظر فيما ورد من أنّ الكفار يتأثرون على مكارم الأخلاق .. وفي الذي كان دأبه مخالفة النفس فجرّه ذلك إلى الإيمان .. وفي الذي كان سخيّاً وكان من الأسرى عند النبي صلى الله عليه وآله ، فنزل جبرائيل (ع) من الله عزّ وجلّ بأن : لا تقتلوه لسخائنه ، فجرّه ذلك إلى السلامة من القتل في العاجل ، والفوز بالجنة أجلاً . البحار : ٣٩٠/٦٨ .

فإذا عرفت هذه المقدمة ، التي يظهر لكل من اختارها وجربها صحتها وصدقها ، فاعلم - وفقك الله وأرشدك - أنّ لأهل البيت (ع) (أصولاً في الأخلاق ، وقواعد وضوابط تُعين ملاحظتها على كسب الأخلاق بسهولة ويسر ، لا بتكلف وعسر ، كما يدور عليه كلام علماء الأخلاق .

فإنّ النبي (ص) أتانا في علم الشريعة بالشريعة السمحة السهلة ، موافقاً لما أخبرنا به ربه عزّ وجلّ ، من أنه يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ، وأنه ما جعل علينا في الدين من حرج .. كذلك في علم

الطريقة فتح لنا أبواب اليسير ، وسدّ عنا أبواب العسير .

فلا يثبطنك الشيطان عن أخذ نصيبك من علم الأخلاق ، بأن ذلك أمر صعب يتوقف على مجاهدة النفس ، ورياضات بالغة! .. وأين أنت عن ذلك؟! .. فإننا رأينا أهل المجاهدات الشاقة ، والرياضات البالغة ، ما أوصلتهم إلا لمقاصد دنيوية ، ومقامات ردية ، من غير رسوخ لهم بطريقة أهل البيت عليهم السلام ، ولا تشبه لهم في أطوارهم.(٢)

(2) لقد أشار المصنف هنا إلى ظاهرة خطيرة طالما أوقعت مدّعي السير إلى الله تعالى في الوهم .. فحصرنا الطريق بتعذيب النفس بالرياضات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، فحسروا لذة الدنيا ، ولم يصلوا إلى لذة الآخرة . والسّر في ذلك أنهم جعلوا جهاد النفس ذريعة لحيازة شيء من متاع الدنيا – ولو كان جلياً للمريدين – لعلمهم أن السيطرة على النفس بقواها المختلفة تجعلها مؤثرة في بعض الأمور ، فإنّ النفس طاقة من طاقات هذا الوجود مليئة بالأسرار المذهلة ، فكما أنّ الطاقات الأرضية تعمل الأعاجيب في عالم الأفاق ، فكذلك الطاقات النفسية تعمل الغرائب في عالم الأنفس .. ولكن لتتساءل ونقول: هل أننا خلقنا لمثل ذلك؟! .. وهل طلب منا المجاهدة لنحقق حظاً من حظوظ أنفسنا؟!... (المحقق)

وأصل هذا المعنى وبيانه: أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى بلطف حكمته وجميل صنعته بهر العقول ، وامتنح أهلها ، بأن طلب من الخلق أموراً كلية عظيمة ، وجعل مفاتيحها أموراً جزئية حقيرة ، فمن استعظم الأمور الموصلة إليها وتهاون عنها ، فاته ما أريد منه ، وكان ذلك من أعظم الامتحان له ، ومن توسّل بتلك الأمور الجزئية ، أوصلته إلى تلك المطالب النفيسة الكلية ، فهو لم يأت إلا الجزئي الحقيّر مع أنه أوصله إلى الكلي النفيس الكثير ، وذلك من أعظم السعادات له . فتدبّر هذه الحكمة البالغة ، وأمعن النظر فيها ، يظهر لك كيف أقام الحجة البالغة على هذا الخلق ، وأكمل لهم النعمة السابغة .

فيا لها من نعمة!..كيف أوصلهم بهذه الجزئيات إلى هذه المراتب السامية ؟! ..
ويا لها من حجة! .. كيف عرضوا أنفسهم للهلكة الدائمة ، والعقاب الأليم ، وكان يخلصهم منها الإتيان بجزئيات حقيرة؟! ..

فمن تأمل هذه الحكمة واقتبسها من آثار أهل البيت عليهم السلام ، ظهر له معنى قوله: إنّ من استقلّ قليل الرزق حرم كثيره [الكافي: ٢/٢٠٧] وأنّ مبدأ كل الشرور والمهلكات هو استقلال القليل ، واستحقار الحقيّر .
كما أن مبدأ الخير نابع من مفهوم هذا الحديث ، فإنّ من لم يستقلّ قليل الرزق لم يُحرم كثيره .

وبعد تتبّعك هذا المعنى تجد شواهد في الحبل المحكم ، والأخبار لا تُحصى ولا تُعد منها قولهم: اتقوا محقرات الذنوب [الكافي: ٢/٢٠٧] .

وقولهم: لا تستحقروا طاعةً ، فربما كان رضا الله تعالى فيها .. ولا تستحقروا معصيةً .. فربما كان سخط الله فيها .

إلى غير ذلك من أخبارهم عليهم السلام ، فاتضح للمستبصر المسترشد أن طريقة الشرع الشريف المحمدية ، إنما هي مبنية على أمور جزئية سهلة يسيرة بإذن الله موصلة إلى أسنى المطالب وأهني الرغائب.(٣)

(3) إنّ هذا الأسلوب من الترغيب مؤثراً في النفوس التي تخشى البدء بالحركة بعد مرحلة اليقظة ، ظناً منها بأن طريق الآخرة سألبة لنعيم الدنيا ومذاتها.. وأنّ الأمر يحتاج إلى مجاهدات مرهقة كالتّي

يتبعها المرتاضون من أهل الفرق المنحرفة بل الكافرة .. وأنّ الغايات لا تُنال إلا بما يلحق بالمعسورات أو المتعذرات وغير ذلك من موجبات الوهن .
والحال أنّ الشريعة ما حرّمت حراماً إلا وكان - في الغالب - حلالاً بجانبه بدلاً عنه .. ودائرة الإلزاميات - فعلاً وتركاً - أضيق بكثير من دائرة المباحات بما لا يُقاس معه .. فأين التضييق الذي يجعله العبد ذريعاً للركون إلى ما يشبه حياة البهائم التي همّها علفها وشغلها تقمّمها؟! .. (المحقق)

ويزيد هذا المعنى وضوحاً ، التأمل في الحديث القدسي ، حيث يقول رب العزة سبحانه : أن من تقرب إليّ شبراً أتقرب إليه ذراعاً . [الجواهر السننية . 129] :
فإذا كان هو سبحانه يدنو إلى من دنا منه ، ويدعو إلى نفسه من أدبر عنه ، فكيف بمن أقبل إليه ، وقرع بابه؟! ..!

وكفاك قول سيد العابدين في دعاء السحر: وإن الراحل إليك قريب المسافة ، وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الآمال دونك ، أو تحجبهم الأعمال السيئة .. في بعض النسخ .

فيا أيها الأخ الطالب للإقبال على الله! .. والتمني لهذه المرتبة السننية ، استمع مني مقالة ناصح لك ، مقتبسة من مشكاة أهل البيت عليهم السلام لا سواهم ، لأن من شدّ عنهم شدّ إلى النار وهي :

إنك بعد أن علمت أن المطلوب من العبد التخلّق بالأخلاق الكريمة التي بشرها نسبت إلى الرب ، رب العزة ، فقد ورد عنهم : تخلّقوا بأخلاق الله. شرح الاسماء الحسنی للسبزواری : ٤١/٢
وهي أخلاق محمد (ص) وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وشيعتهم .

واعلم أنّ قوام ذلك المعنى ونظامه إنما هو الجلوس على بساط الاستقامة ، ومجانبة الإفراط والتفريط ، فتقرب إلى الله تعالى بما تيسر لك من الطاعات ، واجتناب ما يكرهه من السيئات .

واجعل بناء أمرك على عدم المسامحة والمماهلة في جزئي ولا كلي ، فكل ما تعلمه راجحاً من الأمور المعلومة الرجحان اجعل همك في فعله ، ولو كان جزئياً حقيراً في نظرك ، وكل ما تعلمه بعدم الرجحان من الأمور فاجعل همك في تركه واجتنابه، وإن كان جزئياً حقيراً في نظرك .

ولا تجعل بناء أمرك على التسامح والتساهل لا في جزئي ولا كلي ، بل ليكن أمرك مبنياً على الضبط والالتقان .

وإياك أن تتعلق بالإكثار من الأعمال من دون ملاحظة الضبط والإتقان ، فإنّ أمراً واحداً تتقنه وتضبطه وتوقعه على وجهه على وفق الوضع المراد ، ينتج نتيجة الألوف من الأعمال الحسنة ، لا على وجه الضبط والإتقان، بل الآلاف الكثيرة من الأعمال الحسنة غير المتقنة ، لا تنتج نتيجة واحدة من الأعمال المتقنة المضبوطة ،
بل لا نسبة بينها عند أهل المعرفة والحكمة. (٤)

(4) هذه صورة من الواقعية والمنطقية في منهج المؤلف .. فإنه يحاول أن يرفع بمستوى السالك إلى مرتبة الربط دائماً بين الأسباب والنتائج ، وإنّ الفعل لا ينبغي أن يقوم به العبد مبتورة عن الهدف الذي يسعى إليه ، ألا وهو تحقيق العبودية الشاملة لله رب العالمين .. فالفعل الكثير الذي لا يحقق الهدف لا قيمة له ، كما لو كان رياءً ، أو مزاحماً لواجب أهم ، أو موجباً للغرور والعجب ، أو داعياً لنفرة النفس من أصل الطريق)..... المحقق)

وتقول: إني لي به ، وأنا لا أقول لك: لا يقع منك الإخلال بجزئي ولا بكلي ، حتى تستعظم هذا المعنى أنا.

الإخلال بجزئي مسامحة ومساهلة ، فأما إذا وقع منك الإخلال بل أقول لك: لا تجعل بناء أمرك على ، ومخادعة النفس والشيطان، فذلك أمر آخر ، وذلك من شأن غير المعصوم ، بأمرٍ لغلبة الهوى .فمقصودنا توطين النفس على عدم المسامحة والمساهلة

الشرع عند المواظبة عليها ، وترك التسامح والتساهل فيها ، تفيد الترقّي فهذه الجزئيات من مفاتيح تلك الخزائن ، ومن الوصول إلى المقامات الرفيعة العالية ، فإن الله سبحانه قد جعلها بإذنه قبض مفاتيح الخزائن بيده استغنى وفاز فوزاً عظيماً

وهو حقيق بذلك ، فإنه أتقن ولولا خشية الإطناب لأوضحت إيضاحاً شافياً ، وأكثرت الشواهد عليه ، وعسى أن نزيده بياناً في الأبواب الآتية إن شاء وأضبط باب يفتح منه ألف باب من الحكمة الإلهية ،
الله

الباب الثاني. في رجحان الخوض في علم الأخلاقوصرف برهة من العمر فيه

اعلم أنه اشتبه الأمر على جملة من الصلحاء الأبرار ، والأخوان الصافين من الأكدار ، من أهل المجاهدة للنفس الأمانة بالسوء ، فإنهم لما رأهم الشيطان (لعنه الله) في مقام المجاهدة النفس - الذي هو أفضل الجهاد حتى سماه النبي صلى الله عليه وآله (الجهاد الأكبر) - أراد أن يخدعهم عن ذلك ، فألقى في روعهم شبهة عظيمة من شبهه .

وهي: أن ملاحظة المواعظ والنصائح والتذاكر بها وطلب العثور عليها والتدبر لها - ما هو قوام علم الأخلاق - أمرٌ لا راجح فيهِ .
فإن مع ما نرى من أنفسنا من العمل بخلاف ما نعلم ، يكون وبالأكثر زيادة في إقامة الحجة على العبد ، فيكون التغافل والتناسي مع هذا الحال أحق وأحرى ، فإن ذنب العالم ليس كذنب غير العالم ، وأنه كلما قلَّ علم الإنسان واطلاعه على التحذيرات ، وأنواع التهديدات يكون أقلَّ امتراءً ، وأقرب إلى المعذورية ، وأنه ليس من لا يعلم كمن يعلم .

وإنني لما سمعت منهم هذا المعنى ، وعلمت أنه من خدع الشيطان الرجيم (لعنه الله) نبهتهم على رواية رواها الشيخ الحرّ في - الجواهر السنوية في الأحاديث القدسية- وفيها قمع هذه الشبهة من أصلها ، وإبطالها من رأسها .

ومعنى الرواية أن الله سبحانه يقول : لا تقولوا : نخاف أن نعلم ولا نعمل ، ولكن قولوا : نعلم ونرجو أن نعمل ، فإنني ما أتيتكم إلا وأنا أريد أن أرحمكم بها. الجواهر السنوية - باختلاف

وهذا الخطاب الإلهي أقمع هذه الشبهة ، ولولا مخادعة الشيطان لما كان محلاً للاشتباه حتى يحتاج إلي الإزالة ، ولكن كفى بهذا البيان الإلهي قامعاً .. ونزديك بياناً تعرف به جليلة المسألة في العلم والعمل وثمرة كل منهما ، ويتجلى لك ما وضع لأجله الباب من رجحان هذا العلم وثمراته فنقول: إنه من المعلوم أنه لا نفع للعلم بدون العمل ، كما لا نفع للعمل بدون علم ، ولكن العبد مأمورٌ بكل منهما ، وكل واحد منهما يؤكد صاحبه ويقويه .

فمن اتخذ العلم لا للعمل بل ليفتخر به ، ويستتر بمحاسن العلم وشيوع الجمال وبهائه بين الناس ، قبح أفعاله وخصاله القبيحة ، فلا شك أن هذا قرين إبليس اللعين ، وعلمه وبالٍ عليه ، وعلى غيره ، وإن أهل النار يتأذون به ، وهو من الذين يحملون أثقالهم ، وأثقالاً مع أثقالهم ، وهو شيطان في صورة إنسان - نعوذ بالله منه - .

وكذا من اتخذ العلم عادة اعتادت عليها نفسه (١).....)

(1) إشارة إلى نقطة مهمة لا ينبغي أن يغفل عنها الخواص .. فإن العلم ليس إلا انكشافاً للواقع في الذهن في أفضل حالاته .. وإلا فإن حالات عدم المطابقة والجهل المركب هو الشائع في كل العلوم .. وعليه فإن احتراف تخزين صورة الواقع في الباطن والتلذذ بذلك - كمن يستلذ بجمع الكتب في الظاهر - لا يمكن أن تُعدّ عملية مقدسة توجب بنفسها قرباً للعبد إلى الحق المتعال ، وعليه فإن العلم المتراكم بلا عملٍ قد يتحول إلى شغلٍ شاغلٍ تألفه النفس ، فلا يعود العبد يفكر بعدها للعمل ، شغلاً بما فيه من الإنكشافات الذهنية التي لا قيمة لها في الخارج.. (المحقق)

فهذا حمار ورياء وسمعة بهذه الصورة الممدوحة بين الناس من دون بصيرة ولا معرفة ،.....
مربوط ملحق بالأول ، وإن كان أقلّ منه ضرراً على العباد

وهو المتوجّه إلى الله وأما من كان عاقلاً فهماً ، وطلب ما به صلاح نفسه وسعادته في داريه ،
لتربيته وترقيه فيما هو طالب له ، فليعلم أنه الطالب ما عند الله ، وهو المقصود بخطابات هذا الفن
له العمل به ، وزاده نشاطاً ورغبةً فيه ، وكلما عمل بما علّمه الله من كلما انفتح له باب من العلم سهل
السلام حيث قالوا : أورثه ذلك علم ما لم يعلم ، وزاد في علمه ، كما في أخبار أهل البيت عليهم العلم
إنه من عمل بما علم أورثه علم ما لم يعلم

في الحقيقة عمله نوعاً من العلم ، حيث إنه مورث له ومحصل له ، فيدخل فيكون
طلب العلم الذي تواترت الروايات بفضلته ومدحه تحت

وتعليمه من أفضل أفراد العلم ، فعند ذلك تتم للعبد السعادة بالعلم الباعث على كما أنّ علمه وتعلمه
العلم والعمل ، إلا أن العمل ، والعمل المنبعث عن العلم ، والسعادة وإن تمت بالمجموع المركب من
التفاضل بين الأولياء أفضل الجزئين عند الله إنما هو العلم ، وبه يقع

المعرفة خير من كثير من العمل ، وما هما إلا كالنيّة قال مولانا أمير المؤمنين (ع): مسحة من
وكالروح والجسد ، والفضل للروح .. والعمل ، والفضل للنيّة
، والله ولي التوفيق وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الهداية

الباب الثالث في بيان أن الله خلقنا للسعادة الدائمة ، أعدّها لنا وأعدنا لها

اعلم أن الإنسان خُلق للحياة الدائمة والعيش السرمدي ، وعمر الآخرة لا نهاية له ، وقد جعل الله هذه الدنيا مزرعةً للآخرة ، ورتّب الجزاء في الآخرة على الأعمال في هذه الدنيا ، فكان تأهل العباد لتلك السعادة الأبدية بهذه الأعمال الدنيوية. (١)

(1) ان الالتفات الى قِصر العمر في الحياة الدنيا لمن دواعي اليقظة والحركة للسالك، فان الإنسان بطبيعته يحب نفسه ويحب لها النفع والخلود وان اشتبه في تشخيص مصاديق النافع والضرار ، كما هو الواقع خارجا .. وعليه فإن استيعاب قِصر الحياة ، وان اللامحدود يتحدد سعادةً وشقاءً بهذا العمر المحدود مما يجعل كل أن فيه يقابل اللامحدود ومن المعلوم أن هذه المقابلة الوجدانية – وهي مدعوتها بالشرع والنقل – يحول الإنسان على موجود حريص على كل فترة من حياته أضف إلى حرصه لانتقاء أفضل الأعمال التي يملأ بها هذا الوقت القصير الذي سيحدد مصير الأبد في الجحيم أو النعيم! (المحقق)

ولا ريب أنّ هذه الأعمار القصيرة ، والمدة القليلة ، لو استغرقت بالعبادة بحيث لم يعص الله فيها طرفة عين ، ولم يصرف مقدار نفس من الأنفاس إلا في طاعة الله ، فهي مع ذلك قاصرة وناقصة بالبداهة والضرورة عن الأهلية للمقابلة ، ومقام المعارضة والمجازاة .

فلا بدّ بمقتضى الرأفة الإلهية والرحمة الربانية ، أن يفتح لهم أبواباً من أبواب كرمه ، يؤهّلهم بها لمقام الجزاء بما لا انقضاء له ولا فناء ، إذ كل نعمه ابتداء ، وكل إحسانه تفضّل .

فأول ما تفضّل به عليهم بجوده وكرمه ، أن جعل أعمالهم غير منقطعة بانقطاع آجالهم ، ولا منتهية بانتهاؤ مددهم ، بحيث جعلها يمكن أن تكون منطبقة على عمر الدنيا ، ومستغرقة لأيام العمل ووجود العاملين ، وذلك بأن جعل من أحكام دينه التي حكم بها ، أنّ من سنّ سنة هدى فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، كما أنّ من سنّ سنة ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. مجموعة ورام : ٢٣٦/٢

وكذلك جعل من أحكامه أنّ الوالدين شركاء مع أولادهما فيما يعملون من أعمال الخير ، بمقتضى التسبب والعلية للوجود ، وهذه سلسلة غير منقطعة .

وكذلك جعل ثواب بعض الأعمال أن يخلق منها ملائكة يعبدون الله إلى يوم القيامة ، ويكون ثواب عبادتهم لصاحب العمل .

وكذلك فتح لهم باب التنزيل ، فنزل العمل ليلة واحدة بمنزلة العمل في ألف شهر ، بل أخبر الله سبحانه فقال : { ليلة القدر خير من ألف شهر . }
وجعل تفكّر ساعة بمنزلة عبادة ستين سنة [البحار ١٧ : ٣٢٧ وفيه : سنة] (٢) ، على ما في بعض الروايات .

(2) ورد في المصدر (تفكر ساعة خير من عبادة سنة .. (وأما عبادة ستين سنة فقد روي بالنسبة لمن مرض يوماً بمكة (المستدرك ج ٩ / ص 364) ولمن تعلم حديثين اثنين ينفع بهما نفسه أو يعلمهما غيره فينتفع بهما) البحار ج ٢ ص ١٥٢) ولمن عدل ساعة (جامع الاخبار / ص ١١٩)

ومن مرض ليلة فقبلها بقبولها معنى القبول كما ذكره (ع) : لا يشكو ما أصابه فيها إلى أحد) مشكاة
الانوار - ص ٢٨١). (المحقق)

وجعل مبيت ليلة عند أمير المؤمنين (ع)، تعدل عبادة سبعمائة سنة .
وجعل قضاء حاجة المؤمن يعدل عبادة تسعة آلاف سنة ، صائماً نهارها قائماً ليلها(البحار ٧٤ :
٣١٥).
وجعل صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، قائمة مقام صيام الدهر .

كل ذلك تعظفاً منه على عباده المؤمنين ، وتفضلاً ليؤهلهم لأن يوصلوا إلى رتبة استغراق عمر الدنيا
بالطاعة ، حتى يكون لهم شوق التأهل بهذه المرتبة النفيسة بجوده وكرمه .

ثم ذلك قليل في جنب ما يريد أن يؤهلهم عن استغراق مدة الأمد والسرمد بالعبادة والطاعة له عزّ
وجلّ ، فأكمل لهم الامتنان ليتم لهم الأنعام ، بأن فتح لهم باب الجزاء على النية التي هي خير من
العمل ، فجعل نيات المؤمنين أن لو خلدوا في الدنيا لداموا على طاعتهم لله عزّ وجلّ ، فأثابهم على
ذلك ثواب الدائمين على طاعته ، وجعل جزاءهم على هذه النيات الخلود في الجنة .

كما أن الكفار بسوء نياتهم ، وأنهم لو داموا لداموا على معصيته ، جعل جزاءهم الخلود في عقابه .
فيا أيها الأخ المسترشد !.. اعلم أنّ أعمالك مبنية على الدوام لا على الانقطاع ، وإن كنت تراها
منقطعة ، ففي بعض الأخبار: أن السعيد من ماتت سيئاته بموته .
يعني من سعادته أن لا يعمل بها بعده ، وإلا فإذا عمل بها اقتداء به واقتداء بمن اقتدى به ، كان عليه
وزرها إلى يوم القيامة .

فالمعصية والعياذ بالله مقتضاها التسلسل... إلا أن يتعطف الله بمحوها وإزهاقها .
فاحذر كل الحذر من المعاصي !.. فقد تؤثر في الأعباق وفي أعقاب الأعباق ، وارغب في الطاعات
!.. فإنّ ما كان لله ينمو ، ومن نموه أن يؤثر بعده إلى آخر الدهر ، وفي الأعباق وأعقاب الأعباق إلى
يوم القيامة ، فتيقظ ولا تكن من الغافلين(٣))

العاكف على الذنب ولو كان صغيراً لا إن كتب القوم جميعاً لا تخلو من هذه الوصية ، فان (3)
في أصله ان يكون المسافر فيه مقبولاً لدى مولاه .. فان إستعداد له للسير في هذا السفر الذي يحتاج
يتوقف على النفحات الإلهية الآخذة بيد العبد ، وهي لا تتأتى لمن يتعرض للنجاح في هذا الطريق
الذي لمولاه صاحب تلك الفنحات ، ومن المعلوم أن الذنب - وان كان صغيراً - إلا أن من لسخط
الخلج والوجل بعد الالتفات أذنبنا بحقه كبير ، بما يجعل المعصية بين يديه سوء أدبٍ عظيم ، يوجب
هو الاستغفار المتواصل لتجديد العهد بالرب إليه.. ومن هنا كان ديدن جميع من سلكوا هذا الطريق
عبدناه حق عبادته .. وأما استغفار الأنبياء والأوصياء (ع) فإنما هو الذي ما عرفناه حق معرفته وما
العالي ، وهذا التذلل والتعظيم ، بالإضافة إلى تبدل حالاتهم في بعض الأحيان من الأعلى إلى لإظهار
(كافٍ لأن يوجب لهم طلب الاستغفار دائماً). (المحقق)

الباب الرابع في ذكر بعض الطرق إلى الله تعالى

اعلم أنّ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق (١))

(1) هذه من الحقائق التي تزيد العبد بصيرة في سيره إلى الله تعالى ، فليست هنالك معادلة ثابتة في جزئيات السير إليه ، فلكل زمان ، ومكان ، وفرد ، وظرف ، موجباته وموانعه .. فلذلك تعددت السبل ، وإن اتحد الصراط ، فجمع الأول وافرد الثاني في القرآن .. ومن هنا لا ينبغي التأسّي بخصوصيات السالك الفردية - وإن كان واصلاً - لأن لكل فردٍ ظرفه وتكليفه .. ومعرفة السبيل الأنسب من بين السبل ، شاغل لبال السالكين جميعاً .. فليست هناك مشكلة في الحكم الشرعي الإلزامي لإمكان معرفة ذلك من خلال ما ورد في الفقه ، وإنما المشكلة كامنة في الأحداث والوقائع الشخصية التي لا دور للفقه فيها كموارد تزامح الأهم والمهم ، وهنا يحتاج السالك إلى بصيرة نافذه في معرفة السبيل الأقوم في مقابل السبل المستقيمة الأخرى ، وهي إما أن تحصل بالإلقاء في الروع والاحساس اليقيني بذلك ، أو بالتسديد القهري بوضعه على الطريق ولو مع عدم الاحساس بذلك ، أو عن طريق اشارات اهل المعرفة الذين فتحت لهم الأبواب ، فواجهم الله في فكرهم ، وكلمهم في ذات عقولهم فاستصحبوا بنور يقطة في الاسماع والابصار والافئدة (النهج ج ٢ ص ٢١١) . وقد قال النبي (ص) اتقوا فإسفة المؤمن فانه ينظر بنور الله (بصائر الدرجات) - ص ٣٧٥ . (المحقق)

..... فلعل أحد من الخلق طرق إلى الله بعدد أنفاس كل الخلائق ، والشقي من ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء .

واعلم أنه لا طريق أنجح من حسن الظن بالله ، فإنه في ظنّ عبده المؤمن ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

والناس قد عودوا أنفسهم بمقتضى تسويل النفس والشيطان على سوء الظنّ بربهيم ، ومسارعة أذهانهم إلى التفاؤل بالسوء واليأس من الفرج بمجرد مشاهدة آثار الابتلاء ، والتخوّف من شدة البلاء ، متيقنين في ذلك ، فيقعون فيما فرّوا منه ، ويجري عليهم ما تفاءلوا به من البلاء ، فإنه والعياذ بالله نوع من سوء الظنّ .

وقد عرفت أنه بسوء الظنّ يتأهل العبد لأن يعامل بسوء ظنه ، إلا أن يعفو الله سبحانه .
والنبي (ص) كان يحب التفاؤل بالخير ، ويكره الطيرة . [البحار : ٢/٩٢ ..]

والطيرة على حسب ما يراها صاحبها ، إن رآها شديدة كانت شديدة ، وإن رآها خفيفة كانت خفيفة ، وإن لم يرها شيئاً لم تك شيئاً . [روضة الكافي : ١٩٧] ، كذا في خبر في (روضة الكافي) .

فيجب على المؤمن المقتفي آثار أهل البيت ، أن يعوّد نفسه على حسن ظنّه بربه ، فيرجو من الله بالقليل الكثير ، فهو سبحانه الذي يُعطي الكثير بالقليل ، وكلما تؤمله منه وتظنّه به سبحانه وتعالى من أصناف الخير وكرمه فوق ذلك ، وظنّك له نهاية ، وكرمه سبحانه لا نهاية له ، وهو سبحانه قد أخبرك بأنه في ظنّك الحسن ، وعند ظنّك الحسن ، وقد قال مولانا أمير المؤمنين (ع) : من ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه . البحار : ٢١٢/٧٤

فإذا كان حكمه على عباده ، الجاري على لسان أوليائه ، أن يصدقوا ظنّ من ظنّ بهم خيراً ويحققوا ظنّه ، فهو سبحانه عزّ وجلّ أولى بذلك .
بل يستفاد من الأخبار وتتبع الآثار ، أن كل من يحسن الظنّ بشيء يصدق الله ظنّه ، ويجري له الأمر على وفق ظنّه الحسن ، وكأنه من أفراد حسن الظنّ بالله ، إذ معنى ظنّ الخير بهذا الشخص يرجع إلى الظنّ بأن الله أودع فيه ذلك الخير للمقدمة المطوية المعلومة من أن كل خير من الله ، فالله سبحانه

يصدق هذا الظنّ .

وقد جاء خبر صريح بأن من ظنّ بحجر خيراً جعل الله فيه سراً ، فقال له الراوي: بحجر!.. فقال له (الإمام ع): أو ما ترى الحجر الأسود(٤) .

(2) لم ار الحديث في المصادر التي كانت متاحة لدي .. والرواية على فرض الصدور ، تريد أن تشير إلى أن عناصر هذا الوجود كلها قابلة لتلقي الفيض الخاص من المولى.. فان الموجودات وان كانت متساوية المثل بين يديه ، إلا أن المبدع لها - ولأمر لا يعلمها إلا هو - يختص بعضها بلطفه كالبقاع الشريفة ، والازمنة المباركة ، فتتحول بعد التشريف الانتسابي إلى شأن من شؤونه ، فتتميز في خواصها واثارها عما يشابهها من الموجودات .. فهذا قميص يوسف يلقي على وجه ابيه فيرتد بصيرا .. وهذا التابوت فيه سكينه من ربهم .. وهذه قبضة من اثر الرسول تعمل الأعاجيب .. وهذا الحجر الأسود - كما في الرواية - جعلها الله تعالى يمينه في الأرض .. هذا كله في عالم الجمادات ، فكيف اذا تحقق الأمر في عالم الناطقات ، وهي النفوس التي استسلمت لربها عن رضى واختيار كنفوس المعصومين (ع)؟!.. (المحقق)

فيستفاد من هذا أنّ الله سبحانه وتعالى ، يصدق الظنون الحسنة من المؤمنين من بعضهم في بعض ، ويحقق لهم ذلك .

ومن ذلك تصديق شهادة من يشهدون للميت بأنهم لا يعلمون منه إلا خيراً ، للتنبيه على حسن الظنّ ، بل على عدم العلم بغير الحسن.. وقد ورد الحديث بأن الله يجيز شهادتهم ، ويغفر لهم وله ما يعلم لما لا يعلمون .

فمقتضى حسن الظنّ أن يجريه الله للظانّ ولمن ظنّ به الخير ، إلا أن يمنع مانع قوي من جريانه في من ظنّ به ، فيجريه الله للظانّ . كما في بعض الأخبار أنّ الرجل قد يكرم رجلاً على أنه من أهل الخير ، فيدخله الله بذلك الجنة ، وإن كان في علم الله أن ذلك المكرم من أهل النار ، فهذا مما منع فيه المانع القوي من إجراء الظنّ في من ظنّ به فأجري للظانّ .

والحاصل أنّ من امتثل ما أمر به من حسن الظنّ لإخوانه المؤمنين لا يخيب ، إذ هو إما أن يصدق ظنّه ويقلب الأمر على وفق ظنّه برحمة الله ، أو يجري له ظنّه في حقه ، ولا يضرّه تخلف ذلك في المظنون به الخير .

وهذا باب عظيم في حسن الظنّ بالمؤمنين ، ولعله على هذا ابتني الأمر في قبول صلاة الجماعة ، فإنّ المأمومين أحسنوا الظنّ بالإمام ، وجعلوه واسطة بينهم وبين الله في قبول صلواتهم ، فأعطاهم الله ذلك فقبل صلاة الجميع بحسن الظنّ به . إلى غير ذلك من موارد حسن الظنّ ، كالذي يشرب من سؤر المؤمن تبركاً به ، وكما زمزم فإنه لما شرب له ، قال الشهيدان: وقد شربه جملة من الأكابر لمقاصد دينية ودنيوية فنالوها . شرح اللمعة الدمشقية: ٣٢٩/٢ فلا تغفل عن أخذ حظك من حسن الظنّ .

وقد ورد في الدعاء جعله من أفضل الأرزاق التي تطلب ، فقال: اللهم ارزقني اليقين ، وحسن الظنّ بك . البحار: ٩٥/٩٥ .. وقد ورد في الحديث ما هو أبلغ من ذلك ، وهو أنّ الله يجيز دعوى حسن الظنّ وإن كانت كاذبة .

فعن الصادق (ع) قال: إذا كان يوم القيامة جيء بعدد فيؤمر به إلى النار فيلتفت ، فيقول الله سبحانه وتعالى :ردّوه .

فلما أتى به قال له: عبيدي لم التفت إليّ؟ ..

فيقول: يا رب ما كان ظني بك هذا ..!

فيقول الله جلّ جلاله: فما كان ظنّك؟ ..

فيقول: يا رب! .. كان ظني بك أن تغفر لي وتسكنني برحمتك جنتك .

قال: فيقول الله جلّ جلاله: يا ملائكتي ، وعزتي وجلالي ، وآلأي وبلائي ، وارتفاعي في مكاني ، ما ظن بي هذا ساعة من خير قط ، ولو ظنّ بي ساعة من خير ما روّعته بالنار ، أجزوا له كذبه وأدخلوه الجنة. انتهى الحديث . الجواهر السنية: ٢٧٠(٣))

(3) ان هذه الرواية من الروايات التي تبعث الامل الكبير في النفوس .. فانظر الى هذه الرحمة

المستغرقة لادنى القابليات التي تدعى حسن الظن إ دعاءً ، فكيف بمن يدعيه صدقا؟! .. وكيف بمن

يمارسه تطبيقا في الحياة الدنيا؟! .. ونرجع فنقول : كم من الذين يلتفتون إلى مثل مقالة ذلك العبد يوم

القيامة ؟ .. ولو التفت إليها جميع أهل المحشر لنجوا بذلك !.. ولكنه تعالى هو الذي يلقن العبد حجته

يوم لقائه ، لما رأي منه في دار الدنيا ما يوجب له هذا اللطف في ذلك اليوم العصيب.(المحقق)

فتأمل فيه ترى ما لا يوصف ، وبهذا الحديث الشريف وملاحظة أمثاله من مظان المواهب الإلهية ، والنفحات الربانية ، يتقوى جانب من أن يكون ما عندنا من الظنون الحسنة ، والآمال بمواهب ذي الجلال ، مندرجة تحت حسن الظن بالله ، إذ هي إن لم تكن منه فلا أقلّ من أن تكون من أفراده الادعائية ، وقد عرفت إنه بكرمه يجيزها ويعاملها معاملة الأفراد الحقيقية ، وحكمه في الدارين واحد >{ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت} . سورة الملك/٣

واعلم أن حسن الظنّ ليس مقتضاه الخلود إلى الراحة ، وترك العمل معللاً بحسن الظنّ بالله ، فإن هذا من خدع الشيطان الرجيم - أعاذنا الله منه وجميع المؤمنين بمحمد وآله الطاهرين - بل مقتضاه الانجذاب إلى ما عند الله ، وشدة الرغبة في مواهب الله ، فإن من أنس بمواهب الله جذبته الطمع ، وهانت عنده الشدائد ، ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.(٤))

(4) ان هذه الرواية من الروايات التي تبعث الامل الكبير في النفوس .. فانظر الى هذه الرحمة

المستغرقة لادنى القابليات التي تدعى حسن الظن إ دعاءً ، فكيف بمن يدعيه صدقا؟! .. وكيف بمن

يمارسه تطبيقا في الحياة الدنيا؟! .. ونرجع فنقول : كم من الذين يلتفتون إلى مثل مقالة ذلك العبد يوم

القيامة ؟ .. ولو التفت إليها جميع أهل المحشر لنجوا بذلك !.. ولكنه تعالى هو الذي يلقن العبد حجته

يوم لقائه ، لما رأي منه في دار الدنيا ما يوجب له هذا اللطف في ذلك اليوم العصيب.(المحقق)

وعن مولانا الرضا (ع) قال: إنّ الله أوحى إلى داود (ع) قال: إنّ العبد من عبادي يأتيني بالحسنة فأدخله الجنة .

قال: يا رب ، وما تلك الحسنة؟ ..

قال: يفرّج عن المؤمن كربة ولو بشق ثمرة .

فقال داود (ع) : حق لمن عرفك أن لا ينقطع رجاءه منك . [العيون: ٣١٣/١ ، الجواهر السنية: ٧٩] .. انتهى .

فإذا كان عزّ وجلّ يعطي هذه الجنة العظيمة التي عرضها السماوات والأرض بشق ثمرة ، وفي

بعض الروايات أنه يحكم بالجنة بشق ثمرة .

فبالله عليك كيف يسوغ ترك المعاملة مع هذا الكريم ، والتغافل عن معاملته طرفة عين؟! .. وبأي شيء يستبدل عنه؟! .. ومن فاتته لحظة لم يقبل فيها على الله فأى شيء يكون عوض ما فاتته؟! .. هيهات !..

هيات!.. لقد فاتته شيء لا عوض له ، وغبن غبناً لا جبر له .

ومن أجل هذا المعنى وشدة رافة الله بعباده المؤمنين ، جاءت الشريعة الغراء بترتيب المثوبات العظيمة على حركات المؤمنين وسكناتهم ، وحتى علم علي بن الحسين (ع) شيعته الدعاء بقوله :

اللهم !.. اجعل همسات قلوبنا ، وحركات أعضائنا ، ولمحات أعيننا ، ولهجات ألسنتنا في موجبات ثوابك . <الصحيفة السجادية: ٦٠>
وقال (ع) في بعض أدعيته :
وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك . (المناجاة الخمسة عشر)

فمراد الله سبحانه في عباده المؤمنين ، أن لا يخسروا خسراناً لا جبر له بالغفلة عن معاملته ، وفقد أجرته طرفة عين .
ولهذا جعل الطرق إليه بعدد أنفاس الخلائق بحيث أن > من شرب الماء وذكر الحسين (ع) وأهل بيته ولعن قاتله ، كتب الله له مائة ألف حسنة ، ومحى عنه مائة ألف سيئة ، ورفع له مائة ألف درجة ، وكان كأنما أعتق مائة ألف نسمة ، وبعثه الله يوم القيامة ثلج الفؤاد . <الكافي : ١٩٣/٦ ..

أترى صاحب هذا العطاء ، والمُعد لهذا الجزاء يرضى أن يضيع على عبده - المحتاج إليه وهو الغني المطلق - نفساً من أنفاسه؟! ..!
حاشا وكلا!.. بل يريد من هذا العبد المسكين أن يكون مقبلاً على ربه ، حيث إنه لا خير إلا عنده ، ولا شرف إلا في الإقبال إليه ، فإذا أقبل هو على الله أقبل هو عليه ، وإذا أقبل عليه عامله بفضلِهِ وكرمه وهدهد لأن يقصد بكل خطراته وحركاته وسكناته ونومه ويقظته رضاء ربه ، بما يقتضيه كرمه وجوده ومنه .

ومنه ما عن الباقر (ع) قال: إنَّ الله أوحى إلى داود (ع): بلِّغ قومك أنه ليس من عبدٍ منهم أمره فيطيعني ، إلا كان حقاً عليّ أن أطيعه وأعينه على طاعتي ، وإن سألتني أعطيتَه ، وإن دعاني أجبتَه ، وإن اعتمَص بي عصمتَه ، وإن استكفاني كفيته ، وإن توكلت عليّ حفظته من وراء عوراته ، وإن كاده جميع خلقي كنت دونه.. انتهى . الجواهر السنية : ٧٤

وكذلك تأتي رافته البالغة ورحمته الواسعة ، أن يبالي في تحذير عبده المسكين عن التخطي إلى ما لا يعنيه فضلاً عما يضره .

وفي بعض الخطابات القدسية على ما في (الجواهر السنية :)
يا بن آدم !.. إذا وجدت قساوة في قلبك ، وسقما في جسمك ، ونقصاً في مالك ، وحرمة في رزقك ، فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعينك . الجواهر السنية : ٦٦
وهو الفضول من الكلام ، فضلاً عن المحرّم فهو أضرّ على الإنسان من السمّ ، إذ منتهاه أن يؤثر في الجسم ، والفضول من الكلام يؤثر قساوة في القلب ، والنقيصة في المال ، والحرمان في الرزق ، مع السقم في الجسد ، فكيف يرضى له الرب الرؤوف بأن يعرض نفسه لهذه المهلكة العظيمة .

بل ورد أنّ الله سبحانه يحاسب العبد على فضول النظر ، كما يحاسبه على فضول الكلام. (٥)

(5) وهذا هو مقتضى المراقبة الدقيقة للسلوك في ارقى مراتبه، فان لحظات العيون مما لا يعد عند العامة فعلاً ليترتب عليه الحساب ، إذ أن العين تبصر ما لم تغمض سواء أراد صاحبها أم لم يرد.. ولكن المراقب لنفسه يحوّل هذه العملية اللاإرادية إلى حالة شعورية.. فلا يسלט نظره إلى ما ليس

مأمورا به ، فكيف اذا كان منهيًا عنه؟!.. بهذا الحديث واشباهه يعلم ان الطريق الى الله تعالى كالصراط يوم القيامة احد من السيف.. ومن هنا صعب الوصول إلا بفضل الله ورحمته.(المحقق)

فمن أجل أنه لا يريد أن يضَيِّعَ على عبده البائس المسكين نظرة من نظراته ، جعل له النظر إلى وجه العالم عبادة ، والنظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر إلى ذرية رسول الله (ص) عبادة ، والنظر إلى المخلوقات بعين الاعتبار عبادة ، وأي عبادة ..! فإنه التفكير الذي ساعة منه تعدل عبادة ستين سنة } فأينما تولوا فثم وجه الله { . البقرة/ ١١٥

وعن الصادق جعفر بن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن آبائه (ع) ، عن النبي (ص) قال : أوحى الله تعالى إلى داود (ع) : يا داود ..! وكما لا تضيق الشمس على من جلس فيها ، كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها ، وكما لا تضر الطيرة من لا يتطير ، كذلك لا ينجو من الفتنة المتطِّرون. [الجواهر السنوية : ٧٧] .. انتهى .

وهذا الخطاب الإلهي القدسي من أكبر وأعظم الشواهد على ما أصَلَّناه من أن المتطير لسوء ظنه بربه لا ينجو من الفتنة ، فيقع في الهلكة ، ومن لا يتطير لحسن ظنه بربه لا تضره الأشياء التي يُتَطِّرُ منها ، وتُدفع عنه ببركات حسن الظن بالله .

ومن دخل في رحمة الله بالانقطاع (٦).....)

(1) إن تعبير المصنف في هذا الموضع تعبير رائع .. فمن ناحية جعل الدخول إلى أخبارهم من موجبات الرحمة الإلهية ، فإن نفس الميل إلى أخبارهم والأنس بما ورد عنهم من علامات المسانحة لطينتهم ، والاستعداد لتلقي الفيض منهم ، وإلا فإن النفوس الأجنبية لا تألف هذه الكلمات الصادرة ممن اتصلوا بعالم الغيب.. ومن ناحية أخرى أكد على ضرورة الانقطاع إليهم ، فكيف يهتدي إلى طريق الله الأعظم من لم يستوعب حقيقة الولاية الإلهية المتمثلة في النبي (ص) وأوصيائه (ع)؟!.. إن هذه النفوس التي لم تفهم أكثر الحقائق بداهة في عالم المعرفة – إذ ما نودي بشيء مثلما نودي بالولاية (الكافي ج ٢ ص ١٨ – كيف لها أن تفهم دقائق السير إلى رب الأرباب؟!.. (المحقق)

تتسع وتنتفتح له الأبواب إلى أخبار أهل البيت (ع) ، واقتفى آثارهم لم تضق عليه ، بل لا تزال انشراح الصدر بنور العلم والمعرفة ، وهو التي كل باب يفتح منه ألف باب ، حتى يوصله إلى مقام :حيث يقول (من أفضل ما أثنى الله على نبيه (ص) ألم نشرح لك صدرك { . الإنشراح/ ١ }

الآخرة ، عليه بالوصول إلى هذه الرتبة ، فهو من الذين لا يصلهم بلاء الدنيا ، ولا بلاء فإذا من الله الناس ، وإلا فهو عنده في وبمعنى أنه لو أصابه نوع من البلاء فهو عند غيره بلاء ، وبحسب نظر ما يطلب منه من المراتب السامية عند الله جنب ما عرفه الله من إيصاله إلى رضاء الله ، وبحسب العطاء تعالى، من أكبر الملاذ وأهنأ

البلاء تشرق وجوههم ، ولذا كان بعض خواص الحسين (ع) من أهل الطف ، كلما اشتد عليهم ، وأين أبناء الملوك عن هذه اللذات ، وحسبنا الله وتستنبر نفوسهم ، رزقنا الله وإياكم هذه المقامات ، المولى ونعم النصير ونعم الوكيل ، ونعم

الباب الخامس : في إيضاح عجز الإنسان من حيث هو

أيها الغافل عن إصلاح نفسه ، والمتغافل عن حقيقة أمره !... إنَّ لك أيُّها المسكين جهتين واعتبارين :

أحدهما من حيث نفسك وذاتك ، ومن حيث أنت أنت ، وإلى هذه الجهة غالب نظرك وملاحظتك ، وأنت من هذه الجهة فإن مضمحل زائل لا قدر لك ولا قيمة ولا اعتداد بك ، ولا مبالاة بك ولا احتفال ، بل لست شيئاً مذكوراً .

والجهة الثانية لك من حيث أنك متعلّق القدرة الإلهية ، ومظهر العظمة الربانية ، ومخلوق لهذا الخالق العظيم الشأن عزّ وجلّ ، وبهذه الجهة صرت مرتباً بكل العالم من العرش إلى الثرى ، ومن السماء السابعة العليا إلى الأرض السابعة السفلى ، فضلاً عما بين المشرق والمغرب ، وجميع من في أقطار الأرض .

فإن أنت فعلت بنفسك خيراً أثّرت في جميع العالم خيراً ، وبالعكس (١) فإن أشكل عليك

(١) هذه العبارة على إيجازها ، تكشف السرّ عن حقيقة تأثير بعض الأولياء في الأمور بإذن الله تعالى ، بما لا يمكن إنكاره لكثرة وقوعه وتواتر نقله قديماً وحديثاً .. فإنّ العبد إذا صار محبوباً لمولاه فإنّ شؤون ذلك العبد كلها محبوبة لديه ومنها إرادته للشيء ودعاؤه ، فإنّ الله تعالى - لشدة حبه له - يجعل إرادته الربوبية مطابقة لإرادة عبده المستوجبة للإجابة لو خلى الأمر من الموانع .. ومن هنا جعل الله تعالى الإحياء - وهو من أعجب الأمور - منتسباً إلى المسيح بإذنه ، وهذه هي المعادلة التي ترفع الاستغراب عما يقع من خرق العادة في جميع الموارد التي صح فيها النقل) .. المحقق

..... ذلك ، فإنّ لك مثلاً تحت العرش يعمل مثل ما تعمل ، فإن عملت قبيحاً ألقى الله على مثالك سترأً وغطاه ، لئلا تفتضح عند أهل العرش .

وإن عملت حسناً أظهره الله لهم وهو معنى قوله: يا من أظهر الجميل وستر القبيح على ما رواه شيخنا البهائي في مفتاحه عن الصادق (ع) أنه قال :
ما من مؤمن إلا وله مثال في العرش ، فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله ، فعند ذلك تراه الملائكة فيصلون ويستغفرون له ، وإذا اشتغل العبد بمعصية أرى الله على مثاله سترأً لئلا تطلع الملائكة عليها . مفتاح الفلاح : ١٥٦

وكذلك لا شك أن أعمالك كل يوم ، وكل صباح ، وكل مساء ، تعرض على النبي صلى الله عليه وآله ، وعلى الأئمة (ع) ، خصوصاً صاحب العصر - عجل الله فرجه - ولي الأمر .
فما كان منها حسناً سرّهم ، حتى قال أحدهم: والله لرسول الله (ص) أسرّ بالحاجة يقضيها المؤمن لأخيه من صاحب الحاجة . الكافي : ١٥٦/٢

ولا شك أنّ النبي (ص) ، وأهل بيته أقطاب العالم وأركانها ، والعالم كله رعية ، من الملائكة وغيرهم ، فمن أدخل السرور على سلطان العالم فقد أثر في الرعية كلها سروراً ، تبعاً لسرور الملك والسلطان ، فيضجّ العالم بالدعاء لهذا العبد المحسن: سرّك الله كما سررتنا .

وإن أساء أساء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، ولذا تجف الأشجار ، وتفسد الثمار ، وتقلّ

الأمطار ، وتغلى الأسعار .

وقد بان لك أيها المسكين !.. تأثير طاعتك ومعصيتك في كل العالم ، فضلاً عن خصوص الملائكة الموكلين بك ، فضلاً عما تقدمت الإشارة إليه من تأثير الطاعة والمعصية في الأعقاب ، وفي أعقاب الأعقاب ، ومن وصول النفع لكل المؤمنين ممن مضى وممن بقي ممن يقول : اللهم !.. اغفر للمؤمنين والمؤمنات حتى ورد: أن جميع المؤمنين والمؤمنات يشفعون لمن يقول ذلك ويقولون: هذا الذي كان يستغفر لنا . الوسائل : ١٥١/٤
ورد في الأخبار: أن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحار . الكافي : ٣٤/١

وقال سبحانه: { الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا } [غافر/٧] .. ولا يخفى أن من يكون مجتهداً مشهوراً ينتفع بتقليده من في المشرق ومن في المغرب ، كما ينتفعون بكتبه ومصنفاته ، وسائر أنواع هدايته وإرشاداته في حياته وبعد وفاته .

فاذاً قد ظهر لك سرعان تأثيرك في كل العالم من الجهة الثانية فيك ، وكونك متعلق القدرة الإلهية ، ومظهر العظمة ، فكيف يسوغ أيها المسكين فلتك وتغافلك ، ملتفتاً إلى الجهة الأولى التي لست بها شيئاً مذكوراً !..

ولقد صدق مولانا أمير المؤمنين (ع) حيث يقول :
دواؤك فيك ولا تبصر ---- ودواؤك منك ولا تشعر
اتحسب أنك جرم صغير ---- وفيك انطوى العالم الأكبر
وانت الكتاب المبين الذي ---- بآياته يظهر المضمحل
ديوان أمير المؤمنين (ع) ١٧٥/
ولئن أهملت نفسك فما ريك بمهمل لك ، قال الله تعالى :
{ يحسب الإنسان أن يترك سدى } . القيامة/٣٦

فتيقظ أيها الغافل !.. والحظّ الجهة الثانية التي صرت بها إنساناً ، وكذلك سمّاك ربك ، فإن كنت ترى نفسك من أهل الشقاوة ، وعن السعادة نائياً ، فاعلم أيها المسكين أن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

واحذر أن تكون شيطاناً في صورة إنسان ، واعلم أنك إن اخترت لنفسك ذلك فقد أضعت توجّه العناية الإلهية إليك ، وأفسدت العالم كله بفسادك ، وكدرت قلوب الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين ، وجميع أهل السموات والأرضين ، وضجت الأرض إلى الله من مشيك عليها ، والسماء من استظلالك بها .

وورد أن الأرض تضجّ إلى الله من بول الأغلف أربعين صباحاً [البحار : ١١٠/١٠١] .. وهو فعل مكروه من المكروهات فكيف بك؟ ..

وبالجملة يا مسكين أنت مبارز لله ، وجميع من هو ملك لله تعالى أعداء لك ، فأين تذهب عن ملكه (٢) وجميع مخلوقاته تطالب الأذن منه بالانتقام منك ، فأنتى بمقاومتها

(2) إنها حقاً لحقيقة مخيفة وهي ليست من المعاني الإنشائية التخيلية ، إذ أن كل ما في الوجود – ما عدا الإنسان – منقاد لله تعالى بطبعه ، ومن المعلوم أن الشاذ عن حركة الوجود في الطاعة محارب لرب العالمين ، وهو الذي له جنود السموات والأرض ، وهل وظيفة الجند إلا امتثال أمر من هم جنودٌ مجندةٌ بين يديه؟! .. وعليه فإن بقاء العصاة في أمن وسلامة ، إنما بتدخل من الرب الرؤوف

في منع جنوده من الانتقام من أعدائه .. وما نار جهنم وإحاطتها بالكافرين إلا صورة من صور جنود الرب ، إذ أذن لها في الانتقام ، ومن هنا كان لسان حالها : هل من مزيد؟!.. (المحقق)

.....كلها ، وأنت الضعيف الحقيير ، ومن يؤويك وقد بارزته وحاربتة ، فلا مفرّ لك منه إلا إليه }
ففرّوا إلى الله إني لكم منه نذير مبين { . الذاريات/ ٥٠
وكلّ من خاف من أحد هرب منه إلا الخائف من الله فإنه يهرب إليه ، فإن أنت هربت إليه عزّ وجلّ فاستمع لما رواه الصادق (ع) عن جده رسول (ص) عن الله عزّ وجلّ أنه يقول :
لا أطلع على قلب عبدٍ ، فأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعتي ، وابتغاء وجهي ، إلا تولّيت تقويمه
وسياسته . الجواهر السننية : ١٣٣

وعن النبي (ص) عن الله عزّ وجلّ قال :
إذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي ، نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي ، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حلت بينه وبين أن يسهو ، أولئك أوليائي حقاً ، أولئك الأبطال حقاً ، أولئك الذين إذا أردت أن أهلك أهل الأرض بعقوبة زويتها عنهم من أجل أولئك الأبطال . البحار : ١٦٢/٩٠

انتهى هذا الحديث الشريف ، أنظر إليه كيف اشتمل آخره على أن الله كيف يدفع العقوبة والهلكة عن أهل الأرض بوجود أولئك الأولياء ، فنفس وجودهم صدقة عن العالم ، حيث كان باعثاً على حفظهم من الهلكة .

وبالجملة فهذا العالم مرتبط ببعضه ببعض ، وهو بمنزلة الشخص الواحد إذا دخل ألم في عضو من أعضائه سرى إلى الكل ، فإذا نزل ذلك الألم عن ذلك العضو فقد أراح الكل من ذلك الألم .

وورد في الحديث أن العيد إذا حمد الله شمله ذلك الدعاء من كل المصلين ، لأن المصلين يقولون (:
سمع الله لمن حمده) . الوسائل : ٢/٤
فانظر إلى العيد كيف ارتبط بكل المصلين في العالم ، ودخل تحت دعائهم بكلمة واحدة .
كذلك من عمل عملاً باتقان ، دخل تحت دعاء النبي صلى الله عليه وآله بقوله : رحم الله من عمل عملاً فاتقته . كنز العمال : ٩١٢٨

ولا ريب أنّ دعاء النبي (ص) (مستجاب ، ومن أدركته الرحمة من الله نجى من الهلكة .
ومن في هذا العصر يتمنون ويشتاقون أن يكونوا في عصر النبي (ص) حتى تدركهم منه دعوة ، ويتخيلون أن هذا أمر قد فات ، ولا تدارك له ، وهو اشتباه ، فإنّ تعرضهم لدعاء النبي (ص) ووصوله إليهم ممكن في هذا العصر بأيسر وجه كالذي قلنا :
من عمل عملاً باتقان ، فيدخل تحت دعاء النبي صلى الله عليه وآله بالرحمة .
ومن كان يصوم يوماً من شعبان مثلاً ، فيدخل تحت دعاء النبي (ص) بقوله : شعبان شهري ، رحم الله من أعانني على شهري . الوسائل : ٤٩٢/١٠

وحاشا النبي صلى الله عليه وآله أن يحرم أهل هذا الوقت من بركات دعائه الشريف ، بل وقد وضع أدعية شريفة لأهل عناوين عامة ، فمن شاء أدخل نفسه تحت عنوان من تلك العناوين الشريفة ، فيشمله ذلك الدعاء المستجاب .

أنظر إلى نفسك يا أخي كيف عرضك لرحمته بالدخول تحت هذه العناوين الشريفة ، التي هيأت لك لأن تدخل نفسك فيها ، وأنت بغفلتك وتغافلِكَ تريد أن تدخل نفسك تحت عناوين خبيثة ، يتوجّه إليك كل من في العالم بالدعاء عليك .
فإنه من كدر مؤمناً من المؤمنين كدر رسول الله (ص) لذلك ، ثم عليا (ع) ، ثم الحسن ، ثم الحسين ،

ثم الأئمة (ع) ، ثم من في العالم كلّه ، فيضجّ عليك العالم ضجة واحدة: كدرك الله كما كدّرتنا .
الكافي : ٩٠/١ ..

فيا أخي !... شأنك عظيم ، وخطرك جسيم ، وأنت بين حالتين في كل أطوارك وأحوالك : إما أن تُقبل
على الله ، أو تعرض عنه (3)

(3) إنّ هذا المعنى من المعاني التي لو استوعبها العبد على حقيقته ، لأحدث تغييراً جوهرياً في حياته ، إذ أنّ النفس قد تحدّث صاحبها بالتسوية ، لكون العذاب الإلهي في الآخرة أمراً مؤجّلاً .. ولكن كيف يهمل الإعراض الإلهي المعجل عند المعصية .. فهذا إيماننا السجاد (ع) يقول لأهله بعد أن سقط ولدها في البئر والإمام (ع) مقبلاً على صلاته : لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عني ، فمن ترين أرحم بعبده منه ؟ .. (دلائل الإمامة ص ١٩٨ ..) وهذه حقيقة واضحة عند الخواص وهي أنّ الإعراض الإلهي أشدّ إيلاًماً للعبد من عقوبة البدن .. (المحقق)

عنك كل فإن أقبلت عليه أقبل هو عليك ، وإن أعرضت عنه أعرض عنك ، وأعرض لأعراضه
شيء ، وأنت بينهما لا تنفك عنهما
مقبل ، وبالعطف عليهم عائد متفضّل ، أرزقنا اللهم التوفيق لما يوجب فيا من هو على المقبلين عليه
الراحمين ، وصلى الله الإقبال عليك ، ودوام إقبالك علينا ، وحسن أدبنا بين يديك ، إنك أرحم دوام
على محمد خير خلقه وآله الطيبين الطاهرين

الباب السادس : وكيف يسلك عباد الله الطريق إليه

اعلم أنّ كل شيء يهون بالنظر إلى ما فوقه ، وما هو أشدّ منه ، بل يضمحل وبفنى ، ولا يكون شيئاً مذكوراً . كالذي تشوكة شوكة فيلدغه عقرب ، فلا ريب أن الشوكة تكون عنده نسياً منسياً ، ولا ذكر لها عنده بوجه من الوجوه ، فالباري سبحانه وتعالى قد قهر كل شيء من الأشياء بوجود ما فوقه .

انظر إلى عظمة أمير المؤمنين (ع) ، وشدة بأسه وبطشه ، وبلوغه في كل كمال أقصاه ومنتهاه ، كيف يتصاغر عند ذكر محمد(ص) ، ويقرّ على نفسه بالعبودية حيث قال: أنا عبد من عبيد محمد (ص). الكافي : ٨٩/١

وهذه قاعدة محسوسة في سائر الممكنات والموجودات ، فإذا أردت أن تهون عليك الدنيا وشوائبها فانظر إلى ما هو أشد وأصعب ، وتأمل أن لو أضيف إلى ما أنت فيه شدة أخرى مما هو أشدّ عليك كيف كنت تصنع ، فحينئذ يهون عليك ما أنت فيه بالنسبة إلى ما هو فوقه ، وترى تلك الحال نعمة وتقول :

الحمد لله الذي لم يشده عليّ ، ولو شاء لفعل .

وكذلك إذا أردت أن يهون عليك استحسان ما يتفق لك من الأعمال الحسنة ، بحيث تخلص من الابتهاج الذي هو مادة العجب والافتخار ، فانسبه إلى ما هو فوقه من الأعمال الحسنة مما يعملها من هو فوقك ، ومن هو أحسن منك .
أو أنت إذا ترقيت عن المقام الذي أنت فيه ، فإنك ترى ذلك العمل ذنباً وتقصيراً يحتاج إلى الاعتذار ، وتستحي من نسبته إلى نفسك ، فضلاً عن افتخارك وابتهاجك به .

وأنت إذا اعتدت هذه الحالة بإذن الله الكريم المتعال سرت إلى الله بلا انقطاع ، إذ ليس لمحبتة غاية ولا نهاية ، إذ كلما تدرجت إلى مقام في الإخلاص والعمل ، شاهدت مقاماً أعلى وأبهى وأسنى وأرفع.....(١)

(1) إنّ الإحساس بالتجليات الإلهية - التي هي من أهم الهبات في عالم الوجود - نِعْمَ العون على المسير ، فإنّ العبد كلما كشف له الغطاء في هذا المجال ازداد شوقاً لما هو أجلى وأحلى ، إذ لا تكرار في التجلي .. فكلّ إطلالة من عالم الغيب بهاءً وجذباً خاصاً للعبد تختلف على سابقته ، ومن هنا فإنّ الأولياء المتتبعين بلذة التجليات ، لا يكاد ينتابهم ضيق في الحياة بكلّ مراراتها ، لأنّ لذة الوصل يُسيهم ألم كلّ فراقٍ ، ولو كان ذلك الفراق عند أهل الدنيا عظيماً. (المحقق)

.....فإن كنت تريد النهاية به فليس هناك نهاية تصل إليها ، وتقف عندها ، وإن كنت تريد الوقوف من دون مانع عن الترقى فلا يسوغ لك ذلك ، إذ الكريم سبحانه يستدعيك بلطفه وجوده إلى القرب منه ، فبأي شيء تستبدل منه !.. وإلى أي شيء تتحول عنه !.. لقد خاب من رضي دونك بدلاً ، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً .

فحيث اتضح بصريح العقل أنه لا بدّ من السير إلى الله بسلوك سبيل طاعته بلا انقطاع ، فاعلم أن ذلك إنما يتم لك بأن تكون في وقوفك عن الطاعة ملاحظاً وجهاً آخر من وجوه الطاعة ، فإنّ الله سبحانه يحب الأخذ برخصته ، كما يحب الأخذ بعزائمه .

فمن يكون طالباً لمحبة الله سبحانه وتعالى ، يفتح الله له هذا الباب بأن يجعل فعله للعبادة المنذوبة الراجحة جالبا لمحبتة عزّ وجلّ ، فإنها بالذات كذلك ، وكذلك يحصل بتركه لها في مقام يخشى على نفسه الملل والنفرة عن الطاعة - كما هو مقتضى الطبع البشري - مرخصاً فيه من الله ، وهو يحب الأخذ برخصته ، فيكون تركها جالبا لمحبتة عزّ وجلّ بالعرض ، وإن لم يكن بحسب الذات كذلك . فيكون العبد متعرضاً لمحبتة عزّ وجلّ في فعله وتركه ، إنّ هذا لهو الفوز العظيم ، لمثل هذا فليعمل

العاملون .

ويشهد لهذا المعنى اختلاف المروي عن أمير المؤمنين (ع) وعن مولانا الحسن بن علي .
فعن الأمير (ع) أنه : إذا عرض له أمران كلاهما رضى الله اختار أشدهما على نفسه ، وعن الحسن (ع) أنه يختار أسهلها على نفسه .
فالثاني من باب أن الله يحب أن يؤخذ برخصته كما يحب أن يؤخذ بعزائمه ، ومن باب الاقتصاد في العبادة ، ومن قولهم :

إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولا تُكروهوا إلى عباد الله طاعة الله. [الكافي : ٧٠/٢] .. ومن باب مخادعة النفس بالجلب إلى طاعة الله .
والأول وجهه ظاهر فإنه من باب المخالفة للنفس(2)

(2) إنّ تعبير المصنّف (بكون مخالفة النفس مفتاح البركات) ليس مبالغاً فيه ، إذ أنّ من قواعد السفر إلى الله تعالى التي لا تنخرم أبداً ، هي استحالة السير من دون السيطرة على زمام النفس ، إذ كيف يمكن سوق دابةٍ ولجامها بيد غير صاحبها .. وعليه فالخطوة الأولى في الحركة هو تطويع الوجود الإنساني بجوارحه وجوانحه للإرادة ، ومن المعلوم أنّ هذه المرحلة يمكن أن تعدّ قطعاً لنصف الطريق ، إذ أنّ الميل والشهوة والخيال من الأبواب التي تجرّ العبد إلى الهاوية مهما كان العبد جاداً في قطع الطريق ، فإنّ الأمر لا يتمّ بالإيمان واليقين فضلاً عن الأمانى .. ومن هنا قال الإمام الكاظم (ع) : وقد علمت أنّ أفضل زاد الراحل إليك عزمُ إرادة يختارك بها ، وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي . (الإقبال ج ٣ ص ٢٧٧) . (المحقق)

..... الذي هو مفتاح البركات ، وكلاهما في مقام الإرشاد للعباد والهداية للخلق ، وإلا فمقاماتهم في أنفسهم بما تقصر عنه العقول والأحلام ، وهم أعرف بها .
وكذلك لا بدّ لك من التروي في العمل والتدبير فيه حتى يتأتى إيقاعه على الوجه المطلوب ، وحتى يتحرر أنه منبعث عن داعي الإخلاص ، وذلك في الغالب يقتضي مدة ومهلة ، مع أن كل شيء أخرته فللشيطان فيه نظرة ، وللتأخير فيه آفات ، وفيه يُخشى الفوات .

فإذا تعارض عليك هذان الأمران ، حيث إنك بالتأخر تخشى الفوات ، وبالتقديم والاستعجال تخشى فساد العمل بعدم التروي والتأمل ، ومخادعة الشيطان (لعنه الله) بإبرازه لك في صورة الطاعة ، وهو في الحقيقة لداعي النفس والشيطان فيكون من نوع المعصية .

فطريق الخلاص من هذا التعارض ، أن تعلم أنّ التأخر الذي للشيطان فيه نظرة ، وفي الغالب أن يكون مفتوتاً للعمل ، إنما هو التأخر عجزاً وكسلاً ، وحرصاً على المال ، ومحبة لأن يبقى في قبضتك ولا تنفقه فيخرج من يدك ، هذا هو التسوييف المهلك للعالم ، وهذا لا شك في قبحة ، ووجوب مجاهدة النفس ومخادعتها لأن تسلّم منه .

وأما التأخر لأجل التروي والإتقان ، فهو مطلوب ومحبوب وأمور به من قبل ربّ العزّة ، فلا يستتبع ندامة ، ولا يكون مفوتاً للخير ، لأنك محسناً بامثالك الأمور و { ما على المحسنين من سبيل } . التوبة/ ٩١ (١)

(3) إنّ معرفة التوقيت المناسب للإقدام أو الإحجام عن العمل ، يحتاج حقيقةً إلى بصيرةٍ وتسديدٍ من الله تعالى ، فلطالما فوتنا على أنفسنا المنافع العظيمة ، نظراً لعدم ترقّب الفرص التي تمرّ كما تمرّ السحاب ، فإنّ قطف الثمار في وقتها من هموم السالك .. فكم من الخسارة أن يستيقظ الزارع بعد موسم القطاف ، أو أثناء الموسم وقت ذبول الحصاد؟! .. (المحقق)

مع ذلك إذا أردت أن تتقن الأمر وتضبطه ، فاجعل تأخيرك مقروناً بالتوكل على الله ، في أن يمكنك منه في الوقت الذي تؤخره إليه ويعينك ، واجعل تقديمك للشيء عند مجاذبة داعي الكسل والحرص إلى التأخير ، مقروناً بالتوكل على الله في أن يعينك على إخلاص المشيئة فيه ، وإيقاعه على وجه محبوب إليه ، وجالب لرضاه .

فإذا قرنت الأمر بالتوكل في كل من التأخير والتقديم ، واجتهدت في تشخيص الداعي إلى التقديم والتأخير ، فإن كان هو الحرص على الشيء بالرغبة النفسانية والكسل ، والحرص على ما في يدك ، لم تنبعث لهذا الداعي الفاسد .

وإن كان المحرك على كل من التقديم والتأخير داع صحيح انبعث له ، فأنت محسنٌ في تقديمك وتأخيرك ، وما عليك من سبيل ، وأنت جالبٌ لمحبة الله بكلِّ من التقديم والتأخير ، كالذي قدّمناه لك من أنك متعرضٌ لمحبة الله في فعلك وتركك .
فإن كان العبد متعرضاً لمحبة الله بفعله وتركه ، وتقديمه وتأخيريه ، تمّ له السير إلى الله بسلوك سبيل طاعته بلا انقطاع ، وحاشاه حاشاه أن يقطع من انقطع إليه وقرع بابه. (٤)

(4) هذه العبارة على إيجازها دقيقة جداً ، فإنه جمع بين التعرض للمحبة الإلهية – فإنه قوام الجذب الإلهي للعبد – وبين السلوك العملي أداءً للواجب وتركاً للحرام ، فإن البعض يتوهم أنّ إظهار المحبة من دون عمل مما يحقق للعبد درجات من القرب ، فتراهم يهيمون في عالم من التحليق الروحي ، مستخدمين الشعر تارةً والنثر تارةً أخرى ، ليرجعوا من تحليقهم إلى واقعهم المعاش بما فيه من موجبات إثارة سخط المولى ، سواء في مجال التعامل الفردي أو الاجتماعي أو الأسري.. (المحقق)

ثم لا تتوهم انحصار طريق القرب إلى الله بالعبادة المعلومة من الصلاة ، والصيام ، وتلاوة القرآن ، والتعلم ، والتعليم ، واستعمال الأدعية ، والزيارات ، ونحو ذلك ، بحيث يكون كل ما خرج عن ذلك لغواً ، وتضييعاً للعمر فيما لا فائدة به ، كما ظنّه كثيرٌ من إخواننا الصلحاء ، فإن ذلك قصورٌ واشتباةٌ للأمر بك. (٥)

(5) هذا بابٌ من الأبواب التي تفتح على صاحبه أبواباً من المعرفة والبصيرة في السير إلى الله تعالى .. فترى البعض يلخص الطريق في مجموعة من الأذكار والأوراد ، ناسياً أنّ الدين ليس من مقولة اللفظ ، وإنما الدين قوامه المعرفة والمعاملة ، وهما يفرزان الذكر الذي ينسجم مع طبيعة الشريعة . ولطالما كان الإنشغال بالأوراد – بغير طريقة أهل البيت (ع) - (من موجبات التخدير الباطني ، فيرى أنه على شيء وليس على شيء .. أضف إلى ذلك كله أنّ حقيقة الدعاء وهي الحركة النابعة من القلب من مقولة المعاني .. والدعاء اللفظي ليس إلا كاشفاً عن تلك المعاني الباطنية .. فإذا خلي اللفظ عن استحضر المعاني المناسبة لها كان الكاشف مما لا منكشف له.. وما قيمة القلب الذي لا قلب له ؟.. (المحقق)

اعلم أنّ مراد الشارع الأصلي من المكلفين تقوية البصيرة ، لكي يطبعوه بالبصيرة التامة ، والمعرفة الكافية ، وكل ما له دخل في تقوية البصيرة وزيادة الفطنة ، فهو داخلٌ في مراد الشارع ومطلوبٌ له ، بل يكون طلبه له وحثه عليه أكد من غيره .

ومن اقتصر على العبادات التي ذكرناها ، وقصّر نظره عنها ، يغلب عليه الجمود ، وتقلّ فطانته بالموضوعات الشرعية في القبلة والوقت ونحوهما ، ويتمكن من خديعته من يريد الخديعة له في دينه من شياطين الإنس والجن ، وهذا خلاف مراد الشارع ونقيض غرضه .

بخلاف من يمارس الأمور ببيعٍ وشراءٍ ، ويتعلّم الآداب ، ومحاوره الخطاب ، والنكت المستحسنة

للسؤال والجواب ، ويضيف ذلك إلى عباداته وأوراده ، وعلمه وتعليمه ، هو الرجل كلّ الرجل ، نعم الرجل ، والوجدان والاختبار لذلك أعظم شاهد .
وكلّما سرّحت نظرك في تعلّم شيء من الصناعات المحسوسة، فتح الله لك أبواباً من العلم في المعقولات ، والأصل في ذلك أن الله سبحانه قد ربط المحسوسات بالمعقولات ، والأمور الأخروية بالأمور الدنيوية .

فمن أراد الأمور الأخروية بغير الأمور الدنيوية لم يتأت له ذلك ، فقد جعل الله الأمور الأخروية لا تتم إلا بالدنيوية ، وجعل الدنيا المقصود بها التوصل إلى الآخرة محسوبة من الآخرة ، ولا تدخل في مدام الدنيا ، ولذا ورد في الحديث أنه: ملعونٌ من ترك آخراً له دنياء ، ملعونٌ ملعونٌ من ترك دنياءه لآخرته .. انتهى معنى الحديث .
فإنّ الدنيا التي يُلعن من تركها للآخرة هي التي يُتوصل بها إلى الآخرة ، ولا تتم أمور الآخرة إلا بها ، وهي في الحقيقة من الآخرة ، وتركها ترك الآخرة ، والدنيا المذمومة هي التي لا يقصد بها التوصل ، وهي الفضول التي لا يتوقف عليها شيء .
فالنوع الأول من الدنيا كما لا بدّ منه في التوصل ، وهي واجبةٌ ، لذلك أيضاً بإذن الله جعل الخوض فيها مفيداً للفظانة وتقوية الفهم والبصيرة ، وهو معنى ما في روايات التجارة: أنها نصف العقل . [في معظم المصادر : تزيد في العقل كالكافي : ١٤٨/٥ ..]

وروي أيضاً: أنّ العباداة عشرة أجزاء : تسعة منها في التجارة ، وجزء واحد في جميع الطاعات [في (الوسائل : ٤/١٢) : تسعة أعشار الرزق ، بدل العباداة ..]
ويؤيد ذلك أن النبي (ص) اتجر قبل البعثة إلى الشام ، وغيره من الأنبياء والمرسلين . (٦)

(6) هذا هو مقتضى الجمع بين تكاليف العبودية في كل المجالات ، فإنّ الجامعة في العمل بالشرعية من مواصفات السالك الحق ، بخلاف من يريد أن يطير بجناح واحد فضلاً عن يريد أن يطير بريشة واحدة !.. ومما هو مجربٌ بالوجدان أنّ الخلل الذي يوجبه التّفصير في السعي لتأمين المعاش من موجبات توزع البال وعدم استجماع الهم ، والسالك أحوج ما يكون لدفع التشتت وما يسمى بـ (الكثرات) في حياته ، فإنّ كلّ شاغلٍ بمثابة خيطٍ يشدّ العبد إلى ما يوجب له التناقل إلى الأرض .. وهذا كله بخلاف ما يحلّ بالعبد من القضاء والقدر المحض ، فإنه سيؤجر عليه وإن أوجب له التشتت قهراً ، فانه عزّ وجلّ مدركٌ لكل فوتٍ ، ومعوّضٌ بما لا يخطر على بال العبد ... (المحقق)

فاقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هذه الكمالات مفرّقة في العالم، وأن يكون كثيرٌ منها متداولاً على أسنة الناس شائعاً بينهم حتى يصل إلى كلّ أحدٍ نصيبه ، ولهذا أمر بأن تقبل كلمة الحكمة ممن جاء بها كائناً من كان ، حتى قالوا عليهم السلام : خذ الحكمة ولو من أهل النفاق . البحار : ٩٩/٢ ..

وقالوا (ع) : خذوا العلم من أفواه الرجال . [البحار : ١٠٥/٢ ..] فلما أراد الشارع الحكيم لهذا العبد أن يستوفي نصيبه من الحكم والمعارف ، بذلها له في العالم حتى يتيسر وصولها إليه ، وأمره بقبولها ممن جاء بها ، فإن أهل البيت (ع) أمروا شيعتهم أن يعرفوا الرجال بالحق ، ولا يعرفوا الحق بالرجال ، فقال (ع) : انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال . البحار : 1/355 :

وقالوا: غريبتان: كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها ، وكلمة سفه من حكيم فاغفروها . البحار : ٤٤/٢ ..

فالكمال كلّ الكمال إنما هو اكتسابٌ من أقوالٍ وأفعالٍ ، أو معاملاتٍ ، أو تجاربٍ ، حتى ورد عنهم (ع) : أنّ العقل حفظٌ للتجارب ، وخير ما جربت ما وعظك . [البحار : ٢٠٨/٧٤] .. وأن التجربة علمٌ مستفادٌ . غرر الحكم ..

فما انقذ في نفوس جملة من الاخوان من الاقتصار على هذه العبادات المألوفة ، وقصر النظر عليها جربناه ، واختبرناه ، وتأملنا في الأحوال الماضية من أهل الأعصار السابقة ممن نُقل إلينا حاله ، فوجدناه مستلزمًا للبلادة وقلة الفطنة ، غير موصل صاحبه إلى الترقى ، واكتساب المقامات الرفيعة ، فأحببنا التنبيه على أنه من خدع الشيطان الرجيم) لعنه الله) التي يحبسها بها عن الانتقال إلى المقامات الرفيعة ، والرتب السنية .

ومم يُهتدى إليه باستسهال الشيء بالنسبة إلى ما فوقه ، استحقار الدنيا وشؤونها وأطوارها ، بنسبتها إلى أمور الآخرة وأحوالها وأطوارها .

فالواجب على من يريد الإقبال على الله أن يُخرج هموم الدنيا من قلبه ، فلا يفرح بشيء منها أتاه ، ولا يحزن على شيء منها فاتته ، بأن يتدبرها في نفسها ، وينظر في فنائها وزوالها ، وسرعة تقلباتها ، وعدم دوامها على حال ، فالعاقل لا يليق به أن يتوجّه إلى هذا الشيء الذي لا يستقرّ على حال ، بل هي في الحقيقة لا شيء .

وثانياً بأن هذه الدنيا إن فرضناها شيئاً - كما هو مقتضى تلبيس الشيطان (لعنه الله) الذي لبس به على هذا الخلق ، بحيث أوهمهم بأنها في نفسها شيءٌ حسن - لكن لا ريب وبالضرورة لا نسبة لها إلى ما هو أحسن من ملاذ الآخرة التي اجتباها الله لأولياته ، واختارها لأصفيائه .

فعلى فرض أن الدنيا فيها شيءٌ من الحسن ، فهو مضمحل عند نسبتها إلى حسن الآخرة .
فإذا أدمت النظر وأحسنت الفكر ، انجلي لك أن من يتوجّه إلى شيءٍ من أمور الدنيا من حيث أنها دنيا - لا لأجل التوصل إلى الآخرة - متوجّه إلى العدم المحض والباطل الزائل. (٧)

(7) إن الالتفات إلى فناء الدنيا وزوالها من الأسباب المهمة لقطع التعلق القلبي بها ، فإن المذموم هو حب شهواتها ، وإلا فإن ذات الدنيا مما لا تصف بحسنٍ ولا قبحٍ .. فإذا كان الله تعالى هو المزين لها فلا حق لأحد في ذمها ، فكيف وقد استنكر الله تعالى من حرم زينتها .. وإذا كان المزين هو الشيطان حق للإنسان أن يحترز منها كما يحترز من الحيّة التي يلين مسّها وفي جوفها السمّ القاتل .ومن الضروري مخادعة النفس في هذا المجال فنمئياً بالأجر الأعظم الأدم لترفع اليد على الأقل المنصرم .. وقد روي عن علي (ع) انه قال : لو كانت الدنيا ذهباً والآخره خزفاً ، لأخذت خزف الآخرة على ذهب الدنيا ، فانه خزف باق وذهب الدنيا فان .. فكيف والآخرة ذهب باق والدنيا خزف فان ...؟ شجرة طوبى ٢-٤٢٢ . (المحقق)

فيا أيها الأخ !.. اعلم أنّ طريقة أهل البيت (ع) على أن تعرف بأنها ليست شيئاً في نفسها ، فمهما رأيتها شيئاً وتريد أن تتركها لشيءٍ آخر أحسن منها ، فأنت لم تهتد إلى طريقة أهل البيت (ع) .

فأجمع فكري وتضرّعك إلى ربك في أن يعرفك الدنيا على ما هي عليه عند أهل البيت ، لتكون في الذين يقتفون آثارهم ، ويتبعون منهاجهم ، وإلا فنحن بوادٍ والعذول بوادٍ .

وإذا تبدّده عندك بعض النظر الصحيح ، والفكر الثابت المليح أن الدنيا ليست شيئاً يطلب ، ولا مما يصح أن يتوجّه إليه القصد ، فلا مناص لك عن انحصار قصدك وتوجّهك فيما يرجع إلى الله ، وفيما يطلب الله .

فإذا اتفق أنه يصدر منك بعد ذلك شيءٌ لا لله سبحانه بل لمقتضى الطبع ، أو لميل النفس ، أو لمخادعة الشيطان (لعنه الله) فهذا مما لم يكن داخلياً تحت قصدك ، ولا مندرجاً تحت إرادتك وعزمك ، بل أشبه شيءٍ بالكلام الذي يقع منك غلطاً ، أو الكلام الذي أوقعك فيه الغير بحيلة ، أو خديعة ، أو

أنه وقع منك نسياناً لما أنت بانٍ عليه ، أو سهواً عما أنت عازمٌ عليه ، فيصحّ لك على هذا أن تقول في الزيارة الجامعة :
(مطيعاً لكم)

حيث أنك في حال القصد والتخلية لا تطيع إلا لهم ، ولا ترى غيرهم من أعدائهم أهلاً للطاعة إلا أن تُخدع ، أو تفرّ أو تسهو ، أو تغلط فتقع في غير مرادك ، وخلاف قصدك ، فيتأتى منك حينئذ التوبة الصادقة ، والاستغفار الصادق ، حيث إنك دائماً عازم على عدم العود في الإثم ، وعلى الاستمرار على الطاعة (٨)

(8) هذه صورةٌ من صور الواقعة التي اتبعها المؤلف في نهجه الأخلاقي ، فإنّ الزلل الحاصل من الغفلة أو السهو لا ينبغي أن يبعث اليأس في نفس السالك ، فإنّ القلب كثير التقلب بطبيعته ، والله تعالى يحب التوابين كما يحب المطهرين ، وقد شبهت بعض الروايات المؤمن بالسنبلة التي تخرّ تارةً وتستقيم أخرى .. ومن المعروف عند أهل المعرفة أنّ حركة العبد التكاملية بعد كلّ إنابةٍ وتوبةٍ ، قد تشدّد لتكون سبباً لتعويض المراحل التي خسر في طيها عند الغفلة أو الشهوة. (المحقق)

:ولا تكون ممن ورد فيه الحديث.....
منه كالمستهزئ بربه . البحار : ٢٨١/٩٠ فتخرج بما ذكرناه بأن المقيم على الذنب وهو يستغفر : المستهزئين ، وكأنه إلى هذا المعنى أشار سيد الشهداء (ع) في دعاء عرفة عن عنوان

محبةً وعزماً . إقبال الأعمال : إلهي !.. إنك تعلم أي وإن لم تدم الطاعة مني فعلاً جزماً ، فقد دامت
٣٤٨

القلب ، ولو بالمعنى الذي ذكرناه بأن يكون بناء أمرك فكل ذلك يتوقف على خروج حب الدنيا من تفعل شيئاً من أمور الدنيا من حيث أنها دنيا ، إذ هي بهذه الحيثية ليست وتصميم عزمك على أن لا العقلاء ، للعاقل ، بحيث تعد نفسك إذا فعلت ذلك لذلك داخلاً في السفهاء ، وخارجاً عن عداد مقصداً وغيرها مما في معناها ، فاغتنم ذلك فإذا أتقنت ذلك بحيث تبدأه في نظرك تم لك الغاية التي ذكرناها .ولا تكن من الغافلين

الباب السابع : كيف نسلك الطريق إلى الله ؟

اعلم أن السالك سبيل الله ، والمتوجه لما عند الله يجب عليه أمور حتى لا ينقطع عليه الطريق ، فإن أدلاء هذا الطريق وهم أهل البيت عليهم السلام قد أرشدوا إلى أمور من عرفها سهل عليه ، وإلا انقطع به الطريق ، ورجع إلى خلف رجوع القهقري .

الأول : أن يعرف أن الخير كله عند الله ، فلا يلتمس الخير إلا عنده ، ولا يطلب من سواه .
فإذا عاشرت الخلق وباشرتهم فليكن ذلك طلباً لما عند الله، وابتغاء لرضا الله ، بأن يكون همك الإحسان إليهم ، وإدخال النفع عليهم ، فإن الخلق عيال الله ، وأحب الخلق إلى الله من أدخل النفع على عيال الله . [الكافي : ١٣١/٢] .. كما في أخبار أهل البيت(ع) (1) .

(1)إن هذا المعنى قد يغيب عن قلوب الكثيرين حتى من الخواص .. فإنهم عند الإحسان إلى الخلق يعيشون حالة لا شعورية من المنّة على من أحسنوا إليه ، ويبدو ذلك من خلال فلتات ألسنتهم ولحظات عيونهم .. فهذا المعنى الذي ذكره المؤلف من مقتضيات المعرفة العميقة بحق الله تعالى وبحق من أمر الله تعالى بصلتهم .. كما أنها من مقتضيات الرقابة الدقيقة ، لما يدور في خبايا النفوس ، فإن القلب لا يصير محطةً لأنوار الملكوت إلا إذا تخلص حتى عن هذه الشوائب الخفية ، التي هي بمثابة السيئات عند المقربين وإن كانت تبدو بصورة الحسنات عند الأبرار . (المحقق)

فإذا أردت المرتبة العليا بأن تكون أحب الخلق إلى الله على ما اقتضاه الحديث الشريف ، فاتقن هذه المقدمة أولاً ، وهي أن تعلم بأن انتفاعك منهم بهذا الطريق أعظم من نفعك لهم ، حيث أنك بسببهم توصلت إلى أن تكون أحب الخلق إلى الله ، فلا تطلب منهم نفعاً غير هذا ، واقطع النظر عن كل ما سواه .. فما وراء عبادان قرية .
فإذا كان أصل معاشرتك لأجل أن تنفعهم ، ويصل منك الإحسان إليهم فوطن نفسك أولاً على تحمل الإساءة منهم ، وعدم مكافأتهم بها ، وهذا أول إحسان منك إليهم .
ثم إذا وطنت نفسك على أن لا تكافئ المسيء بإساءته فلا تقنع بذلك ، فإنك تريد الاقتداء بأهل بيت سجيتهم الإحسان إلى من أساء إليهم ، والعفو عن ظلمهم ، والوصل مع من قطعهم ، والإعطاء لمن حرمهم .

فلا بدّ لك من توطين نفسك على أن تتمنى أن يسيء إليك أحد ثم تحسن إليه ، حتى تتوصل بسببه إلى تحصيل فضيلة الإحسان إلى من أساء إليك ، فتحصل التأسي بالنبي (ص) وأهل بيته (ع) حيث إن سجيتهم ذلك ، وقد قال مولانا أمير المؤمنين (ع): إن أحب الخلق إلى الله المتأسي بنبويه . نهج البلاغة : الخطبة .. 160

فتحصل بإساءته إليك ومقابلتك له بالإحسان على هذا المقام العالي أولاً ، ثم أنك مع فقرك ولؤمك وحاجتك ، إذا كافأت المسيء بالإحسان فانه سبحانه وتعالى بكرمه وغناه أولى على أن يكافئك على الأعمال السيئة بالإحسان ، فتحصل لك الحجة على إكرامه بذلك ثانياً .

بل هو سبحانه إنما أمرك بالإحسان إلى من أساء إليك ، لينبّهك على أنك فعلت ذلك فأنا أولى بذلك منك ، وأنت أحوج إلى إجراء المعاملة هذه معك ، فأمرك بأن تجري هذه المعاملة .

ونفع هذه المعاملة العائد لك أعظم من النفع الذي أمرتك بأن توصله إلى من أحسنت المعاملة معه ، فلو أنك نظرت بعين البصيرة لرأيت إساءته إليك ، حيث أوصلك إلى هذه المقامات إحساناً يستحق الشكر عليه ، فضلاً عن المجازاة له بالإساءة. (٢)

(2) إنَّ هذا القول من آثار تبدل نظرة السالك إلى الوجود وحركة الحياة ، ومن هنا كانت المعرفة والبصيرة المقدمة الأولى للسير نحو الكمال .. فانظر كيف أنّ السالك يحوّل الخصومة التي تحمل في طبيّاتها الكثير من الظلمة والظلامه إلى أداة للتقرب إلى المولى الحق ، فيثبت العبد فيها أنه عبدٌ لمولاه في كل حركاته وسكناته ، وخاصةً عند إثارة دواعي الغضب أو الشهوة فإنهما من مزال أقدام العوام والخواص ، ولطالما كانا من موجبات الإبتلاء الدائم ، إما بالجحيم أو بنار البعد عن الحق ، والذي لا تقلّ إحراقاً عن سابقتها عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. (المحقق)

وهذا كله على تقدير تحقق الإساءة إليك من الغير ، وإلا فعلى تقدير أنك ظالم أو تنتظم كما هو المشاهد في أحوال غالب الخلق ، فالأمر أجلى وأوضح ، فإننا ما رأينا أحداً من الناس إلا وهو يشتكي ويتظلم ، ولم نر إلى الآن متنازعين ومتخاصمين من الأخيار ولا من الأشرار ، وأحدهما يقرّ للآخر : أني ظالم لك ومتعدّ عليك .

بل لم نزل نرى الأخيار وأهل الصلاح والتقوى يتخاصمون ، وكلّ يدعي المظلومية من الآخر ، وأنه صاحب الإحسان عليه ، والتحمل منه ، وهم ممن لا يتعمدون الكذب ولا يتجرؤون عليه ، فاعلم أن ذلك من مكائد النفس الأمّارة ، وتلبيسها الباطل بصورة الحق حتى تشبه الأمر على صاحبها .

ولهذا ردّ الشارع الحكيم شهادة العدل لنفسه ، ولم يجز التعويل في ذلك على عدالته ، فوجب على العاقل المنصف أن يتهم نفسه في حق نفسه ، ولا يقبل شهادته لنفسه ، كما لا يقبله الشارع .

فهذا غير الذي تعاشره وتباشره ، إن كان أصل معاشرتك أن تنفعه لا لأجل أن تنتفع منه ، فقد أرحت قلبك أولاً يقطع الآمال من الناس ، وقطع الطمع عنهم ، وهذا هو الغنى الأكبر الذي هو غنى النفس .

ثم أن أول صدقة منك عليهم أن تكفّ الأذى عنهم ، وأول ذلك أن ترفع أذاك عنهم ، فلا تتعرض لهم بما يؤذيهم ، ثم توطن نفسك على تحمل الأذى منهم ، ثم اجعل همك إيصال الإحسان إليهم . فإذا توطنت نفسك على ذلك ، فإن وصل إليك مكافأة بإحسان فهذه نعمة غير مترقبة ، فتكون أوقع في النفس وألذ .

وإن رأيت أنهم قد قطعوا النظر عنها ، وتعلّقت نفوسهم بأن تقبلها منهم فاقبلها منهم ، فإن قبولها الإحسان عليهم ولو لم تكن محتاجاً إليها ، فإنّ ردّها يكدّر خواطرهم ، وهو إساءة إليهم وقد وطنت نفسك على ترك الإساءة إليهم ، وأنت مأمور بذلك. (٣)

(3) هذه صورة أخرى من صور الواقعية في نهج المؤلف ، فإنّ الرقة ودمائة الأخلاق ، من الصفات الأساسية في السالك ، ولطالما رأينا غير ذوي البصيرة في هذا الطريق يلحقون الأذى بالغير بقول أو فعل .. أو يوجبون لهم الوهن ، أو يدخلون عليه الهمّ والغمّ ، بدعوى الترفع عن الدنيا والإعراض عن الخلق ، غافلين عن حقيقة أنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره (الكافي .. (2-45) ومن دون هذا الجبر قد يكسر الله منه ، ما لا جبر له في الدنيا ولا في الآخرة .. (المحقق)

وإن كان إحسانهم الذي وقع مكافأة مجرد تعارف ، ويتوقعون منك أن تردّها عليهم ، فاقبلها منهم ثم ردّها عليهم من باب الهدية الجديدة كما هو وفق إرادتهم .

وإن كان مرادهم أن تقبلها منهم وتكافئهم عنها بعوض آخر أزيد منها فاقبلها منهم وكافئهم بالأزيد ، وهو الإحسان إليهم ، ولا تظهر لهم أنك فهمت أنهم أتوا بها لأجل العوض ، بل أجر الأمر على ظاهره ، فهو إحسان منك إليهم .

والحاصل يا أخي !.. أنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وكما تدين ندان .
واعلم أن عمدة الإحسان إلى الناس ليس ببذل المال ، فإننا رأينا كثيراً من الناس يبذلون المال ولا يكون ذلك إحساناً ، بل يستتبع إساءة ، وتكدير خاطر ، ويكون من قبيل صدقة يتبعها أذى بحسب الخارج ، وإن كان أصل قصدهم الإحسان ، لأنهم لا يعرفون وجهه ، وكلّ ذلك من إهمال قواعد أهل البيت (ع) ، وعدم الالتفات إلى طريقته .

فإذا أردت أن تقضي حاجة لأخيك المؤمن على وفق طريقة أهل البيت (ع) ، فاعلم أنهم قالوا : إن قضاء الحاجة تتم بأمر : تصغيرها لتكبر ، وتعجيلها لتتها ، وكتمانها لتظهر . [تحف العقول : ٤٠٣ قريب منه ..]
وما لم تجتمع هذه الأمور لا تكون الحاجة تامة ، بل تكون ناقصة مكدّرة ، بل ربما كانت أذية على صاحب الحاجة .

وعادة الخلق أنهم إذا قضاوا حاجة يُخلّون بهذه الأمور كلها ، فلا يتم في أعمالهم قضاء حاجة على وجهها ، وهذا هو العظيم حيث أنهم يتجرّعون مرارة إنفاق المال ، ولا يترتب عليه الثمرة المطلوبة الذي هو إدخال السرور في قلب المؤمن .

وتراهم إذا قضاوا حاجة يوعدونه بها أولاً ، ثم يماطلونه ، فيبقى يتجرّع مرارة الانتظار الذي هو أشدّ من القتل ، ثم يتجرّع مرارة اليأس من الحاجة مراراً معددة ، ثم بعد حين تقضى الحاجة وقد تحمّل مرارة المطالبة ، ومرارة الخجل ، مع مرارة الانتظار ، ومرارة اليأس ، ومرارة الفشل من الناس الذين وعدهم ، معتمداً على وعدهم الذي وعده فأخلفوه ، فأى لذة تبقى بعد هذا ، بل كان إثمها أكبر من نفعها .

وكذا عادتهم في الحاجة أنهم لا يصغرونها ، ويقولون : هذا أمر جزئي بالنظر إلى قدر المؤمن الذي في بعض الروايات : أنّ حرمة أعظم من حرمة الكعبة . [البحار : ٧١/٦٤] .. بل يظهر أننا قد فعلنا معك إحساناً عظيماً ، بحيث يتوقعون أن يترك العبودية لله عزّ وجلّ ويصير عبداً لهم !..

وكذلك لا يخفونها على الناس حتى تقرب من الإخلاص وتبعد عن الرياء ، وتكون من قبيل العمل الخالص الذي في الحديث: عليك إخفاؤه وعليّ إظهاره .
بل يظهرونها لجميع الخلق ، ويذلونه في جميع العالم ، فهذه عادة الخلق المنحوسة، والعيان فيها يغني عن البيان .

فعلم مما ذكرناه أن الإحسان ليس عمدته بذل المال ، بل عمدته ملاحظة الأمور التي ذكرناها .
والإحسان إلى كل شخص إجراء الأمر على وفق مراده ، والتحذير من تكدير خاطره..... (٤)

(4) إن مسألة تحاشي تكدير الخواطر - وخاصة ذوي النفوس البريئة - من الأمور التي ينبغي أن يلتفت إليها السالك ، فلطالما كان سبباً لأنواع من الخذلان ، وكلما صفا العبد وازدادت درجة قربته من الرب ، كلما عظمت الخطورة بتكدير خاطره ، فإنّ الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم (دعوات الراوندي - ١٢٠) ، وهو سريع إلى نصرته عبده المؤمن .. وقد روى أنّ امرأة دخلت النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من حشاش الأرض (الحقائق) (7-271) ، فكيف بمن أذى من تجلى الله تعالى في قلبه فصار شأننا من شؤونه ؟)..المحقق ()

..... فمن يكون مراده أن تقبل منه فأحسانك بقبول ذلك الشيء منه ، وإن أردت أن تكون يدك العليا فكافئه عنه بأحسن منه ، أو مثله إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتأمل المراعي لدقائق أهل البيت (ع) لوصاياهم وسجايهم .

فإذا تمت لك المعاشرة مع الخلق لأن تنفعهم ، وقطعت نظرك عن الانتفاع بهم بالمرة ، بحيث أن كل نفع تؤمله منهم تعدل به إلى من لا تخيب عنده ، ولا يقربه البخل في حال ، فلا تستغرق أوقاتك بالخلق ، وتجعلهم شغلك وهمك ، فإنك مأمور من أهل البيت (ع) : أقلل معارفك ، وأنكر من عرفت . (المستدرک ۱۱-۳۸۷)

والحكمة في ذلك أن لا يشغلك عن التوجه إلى خالقك ، فإن في التفرغ للعبادة ، وخلق البال عن كل شاغل يشغلك عن الله معنوية لا تُنال بمعاشرة الخلق ، وفي الحمية معنى ليس في العنب .

ولهذا قال أحد الأئمة (ع) (لمن قال له: خلوت بالعقيق وتعلّجت بالوحدة: يا هذا !.. لو ذقت حلوة الوحدة لاستوحشت من نفسك . البحار : ۲۵۴/۷۵ .. فالمراد أنك حيث تحتاج إلى معاشرة الخلق لا بدّ أن يكون طورها على ما وصفناه لك .

وليس المراد أنك تجعل شغلك الاشتغال بمصالح (الخلق) فلا بدّ من توزيع الوقت وتقسيمه ، فتجعل لك وقتاً للتضرّع إلى الله ووقتاً لمعاشرة الخلق ، بأن يكون جالباً لرضاء الله ، ومقصوداً به وجهه ، وليكن حظك من الأول أوفى ، وليكن هو همك وبغيتك ، فإنه المطلوب منك بالأصالة(۵)

(5) إن قيد بالأصالة من القيود ، التي لا ينبغي أن لا يغفل عنها أبداً .. فالملاحظ أنّ البعض من المبتدئين ، يشتغل بالقيام بما لله تعالى رضا في أصله ، ثم يستغرق في ذلك بما يوجب له الذهول عن الله تعالى ، كما لو دخل مجلساً لإصلاح ذات البين ، فيتوغل في عالم إصلاح ذات البين بما يجعله يتعامل وكأنه أحد المتخاصمين ، فيقسو في القول ، وقد يجيز لنفسه أن يستمع إلى ما لا يجوز الاستماع له ، كما إذا تجاوز الخصم حدّه فذكر ظلماً مستورا لا يتعلّق بالمظلوم ، وهكذا بدأ بقصد القربة ابتداء لا استدامة .. والحال أن الدوام أشق من الإبتداء كما هو معلوم .. (المحقق)

..... وحتى يتأتى لك إرجاع الثاني إلى الأول وإلا ملت به إلى حظ النفس ، وصار وبالاً عليك ، فلا تنال منهم دنيا ولا آخرة ، ووقعت فيما فيه الناس من الظلم والتظلم ، وألم الشكوى من جميع المعاشرين ، كما أنهم لا يزلون في الشكاية منك فلا تنال رضاهم أبداً .

لا خير ولا راحة إلا في الإقبال على الله ، والتوجه إليه ، وبذلك يسهل كل شيء من مهمات الدنيا والآخرة ، وكل تعب وهمّ وشدة وغمّ فإنما يترتب على الغفلة عن الله والإدبار عنه ، وهذا ما يتعلّق بالأمر الأول من الأمور التي تلزم من يريد أن يسلك سبيل الله .

الثاني: أن يراعي حقوق الخلق في الله ، فإنّ مراعاة حق الخلق في الله مراعاة لحق الله ، كما أن إهمالها إهمال لحق الله .

فإذا أردت ذلك فاعلم أن لهؤلاء حقوقاً كثيرة يلزمك أن تعرفها حتى لا تجهل حق الله فيهم ، فإذا عرفت استعنت بالله على أدائها ، والقيام بها ، وإذا عجزت عنها كان اعترافك بالعجز قائماً مقام القيام بها .

فأحدها : أنهم يقولون : (علي ولي الله) وكل من يقول هذه الكلمة الشريفة كيف يمكنك القيام بحقه ؟ .. بل كيف يمكنك معرفة حقه؟ .. بل كيف تتصور حقه ؟ ..

هيهات !.. هيهات !.. حق من يعترف بهذه الكلمة تابع لحق من هو منسوبة إليه وهو علي (ع) ، وحقه تابع لحق رسول الله (ص) ، وحق رسول الله (ص) تابع لحق الله تعالى ، وكيف يمكن القيام بحق الله وقد قال رسول الله (ص) (لأبي ذر: (إنّ حقوق الله جلّ ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإنّ نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أمسوا تائبين ، وأصبحوا تائبين) . البحار : ۷۶/۷۴ .. ۶)

(6) لاحظ هذا التدرج الذي نبّه عليه المؤلف ، وكيف أنّ السالك الملتف لا ينظر إلى الأمور بعفوية وسذاجة ، فهو ينتقل من المبادئ لينتهي إلى الغايات ، إذ ينظر إلى الأمور كلها على أنها منتسبة إلى الله تعالى ، وكلما اشتدّ انتسابه إليه عظم حقه لديه ، فليس الإخلال بحقّ المؤمن إخلالاً بحقّ فرد مبتور صلته بمولاه ، بل إخلالاً بمن أخذ الله تعالى على نفسه عهداً أن يدافع عنه .. ومن الذي له قدرة المواجهة ، مع من جعل الله تعالى نفسه وكيلا عليه وناصرأ له ؟... (المحقق)

وقد قال رسول الله (ص) لبعض أصحابه وهو يشير إلى علي (ع) :
(وال ولي هذا ولو أنه قتل أبيك وولدك ، وعاد عدوّ هذا ولو أنه أبوك وولدك). الوسائل .. 16/178 :
فإذا أوجب له انتسابه لعلي (ع) ومولاته له أن تسامحه في قتله لأبيك وولدك ، وتغفر له ذلك ، فكيف بما دون ذلك؟! ..!

بل لا يكتفى منك بمجرد المسامحة والعفو ، بل يجب له مع ذلك أن تحبه وتكرمه وتحترمه ، كما هو مقتضى الموالاتة ، بل لو فديت له نفسك لكان قليلا في حق من هو منسوب إليه ، ولقد أجاد الشاعر حيث يقول :

وما حب الديار شغفن قلبي ---- ولكن حب من سكن الديارا

فأنت إذا تسامحت مع محب أمير المؤمنين (ع) فإله أولى بمسامحتك ، وأن يغفر لك كل ذنب إكراما لمحبتك إلى أمير المؤمنين (ع) ، فإنّ الله أشدّ حباّ منك لأمير المؤمنين (ع) .
وكلما كان مقصراً في طاعة أمير المؤمنين (ع) ، ولاحظت مجرد الانتساب ، واحترمته لذلك ، فيكون احترامك لأمير المؤمنين (ع) أعظم .
إذ من هو بذاته مستحق للاحترام ربما يكون احترامك له من جهة قابليته بذاته للاحترام لا لجهة الانتساب المحض ، فيكون دالا على شدة الاحترام ، إذ لولا القوة والشدة لما غلبت على الموانع المعارضة .

فهذا أحد الحقوق وفيه الكفاية ، وأنى لك بالقيام به ..!

فكيف إذا انضمّ إلى ذلك أنه من ذرية علي (ع) ؟ ..

وكيف إذا انضمّ إليه كونه من زائريه ، أو كونه من مجاوريه ، أو من خدام حضرته ، أو اسمه اسمه أو اسم أحد أولاده (ع) ، أو كونه يسمّى بما يدل على الانتساب إليهم ، كعبد علي ، أو عبد الحسين ؟ ..

وأما حق الرحمية ، وحق المجاورة ، وحق المرافقة ، وحق الدعاء ، وحق تعليم القرآن ، أو تعليم حرف من العلم ، أو كمال من الكمالات ، أو كونه أكبر منك سناً ، أو كونه مجتهداً لك ، أو إماماً لك في الجماعة ، أو كونه محسناً إلى بعض أرحامك ، أو إلى بعض جيرانك ، أو كونه سائلاً عنك ، أو طالباً ، أو محسناً بك الظنّ ، أو نحو ذلك مما اشتملت عليه رسالة الحقوق لمولانا علي بن الحسين (ع) ، وكلها حقوق عظيمة عند أهل البيت عليهم السلام ، ومسؤول عنها يوم القيامة . (التحف- ٢٥٥) (٧)

(7) إنّ هذه الرسالة لا يمكن أن يغفل عنها السالكون إلى الله تعالى ، ومن أقدر من زين العباد أن يكون شارحاً لحقوق الله وعباده ؟ ..! إنّ من الضروري أن يحيط السالك علماً بمجموعة من النصوص والحقوق الواردة عن أئمة الهدى (ع) في مجال السير إلى الله تعالى ، إذ هم أعلم الخلق بهذا الأمر ، فهم المعنيون في الدرجة الأولى بكل خطابات القرب .. وكم من الخيبة والخسران أن يفني الإنسان عمره في سبر كلمات من يدّعي العرفان تاركاً أصحاب البيوت التي أذن الله تعالى أن يذكر ويرفع فيها اسمه !.. (المحقق)

فأنى لك بالخلاص منها ، والعذر عنها ، وقد ورد ما معناه : أن ثلاثة يشكون يوم القيامة إلى الله :
مسجد مهجور ، وقرآن مطروح في البيت عليه غبار لا يتلى فيه ، وعالم في محله لا يسمع منه . عدة
الداعي : ٢٧٢
فما حال من أبرز للحساب ، واجتمع للشكوى عليه عند الحاكم العادل ثلاثة : بيت الله ، وكتاب الله ،
وولي الله !!
فأيهم لا يسمع شكايته ؟ ..
وأي هؤلاء ينكر حقه وحرمة عند الله ؟ ..

فهذه حقوق عظيمة كيف يمكنك الاعتذار عنها في ذلك الموقف العظيم ؟.. فقد ورد : أن العاطس
يعطس فلا يُسْمَت فيطالب بحقه فيقضى له يوم القيامة .
فيا أيها الأخ المسترشد !.. أنت إذا نظرت بعين العقل - التي أودعها الله فيك لتبصر بها - لا يكون
همك إلا الاعتراف بالتقصير والسعي في خلاص رقبته من الحقوق التي لزمته ، وترى أنهم وإن
بالغوا في مسائلتك فأنت بعد مطالب بالحقوق التي لهم عليك ، فيكون همك استعفائهم ، والاعتذار
منهم ، والمبالغة فيما يمكنك من الإحسان إليهم ، رجاء ليغفر الله ، ويرضيه عن بعض الحقوق .

فأنت إن نظرت إلى الخلق بهذه العين التي أودعها الله فيك ، سهل عليك سلوك سبل الله ، وهذا هو
الأمر الثاني .
الثالث : أن يستوحش من الخلق أنسا بالله ، فإن العاقل يلزمه أن يكون مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه
، عارفاً بأهل زمانه ، مستوحشاً من أوثق إخوانه .
فمن هو هكذا دعا له علي (ع) بقوله: شدّ الله من هذا أركانه ، وأعطاه يوم القيامة أمانه . الكافي :
٤٩/١ ..

وفي الكافي عن جابر قال : دخلت على أبي جعفر (ع) فقال :
يا جابر !.. والله إنني لمحزون ، وإنني لمشغول القلب .
قلت : جعلت فداك !.. وما شغلك ، وما حزن قلبك ؟ ..
فقال : يا جابر !.. إنه من دخل قلبه خالص دين الله ، شغل قلبه عما سواه . الكافي : ١٠٧ / ٢ ..

وفيما كتبه أمير المؤمنين (ع) إلي بعض أصحابه : فإن من اتقى الله عزّ وقوي ، وشبع وروي ، ورفع
عقله عن أهل الدنيا ، فبدنه مع أهل الدنيا وقلبه وعقله مع أهل الآخرة . [الكافي : ١٣٦/٢] .. انتهى .

فالمؤمن إذا انس بألطف الله ، وذاق طعم حلاوة ذكر الله ، يلزمه الوحشة من مفارقة هذه الحالة ، فلا
يرضى بمفارقتها .
فإذا منّ الله على عبده المؤمن بالتأييد ، ألزم قلبه هذه الحالة وأشغله بها ، ومكّنه مع ذلك من الالتفات
معها إلى ما دونها ثانياً وبالعرض ، وإن كان أصل شغله بها وأصل التفاته إليها ، فلا يزال مستوحشاً
من هذه الضميمة ، ويريد التفرغ لما هو المطلوب له بالأصالة ، والمقصود له أولاً وبالذات ، إلا أن
هذه الوحشة في قلبه لا تظهر على جوارحه (٨)

(8) من الضروري - كما أشار المؤلف - كتمان هذه الحالات القدسية عن الخلق ، فقد لا يكون عند
الإبداء قاصداً غير الحق ، ولكن لا يؤمن منه العجب اللاحق في ساعات الغفلة التي لا يخلو منها
غير المعصوم .. أضف إلى تعريض المؤمن عبد غيره إلى سوء الظنّ وتهمة الرياء ، وبذلك يكون
مخالفاً أمر مولاه في أن لا يجعل نفسه في مظانّ التهم .. فإنّ عزة المؤمن من شؤون الحق التي لم
يوكلها الله تعالى إلى عبده .. (المحقق)

البحار : . كما قال أمير المؤمنين (ع) في وصف المؤمن : حزنه في قلبه ، وبشره في وجهه.....
٣٠٥/٦٤..

مرّ في حديث الباقر (ع) مع جابر وربما يخبر بها إن اقتضى المقام إظهارها ، كما
إخوانه فهذا معنى كون المؤمن مستوحشا من أوثق
، والوحشة عن سواه ، ولو كان من فما لم تتم لك هذه الحالة ، وهي كون الغالب عليك الاشتغال بالله
للخلق ذريعة إلى القرب إلى الله ، لكون الغالب عليك أوثق إخوانك ، فلا تقدر على جعل معاشرتك
الجنس من الأنس بالجنس البشري ، فتصير عبداً للنفس ترضى لها وتغضب الميل الطبيعي ، وحظ
الجن والإنس وتخرج عن شرف العبودية لله ، وما خلقت لذلك ، قال الله عزّ وجل : {وما خلقت لها ،
إلا ليعبدون} . الذاريات/٥٦

الباب الثامن : لا يكمل إيمان المؤمن حتى تكون فيه خصال

اعلم أنه يراد منك أن تكون مقتدياً بسنة من ربك عز وجل ، ثم بسنة من نبيك (ص) ، ثم بسنة من إمامك .

فعن [الكافي] .. [2/241 : عن الرضا (ع) أنه : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث خصال :

سنة من ربه ، وسنة من نبيه (ص) ، وسنة من وليه .

فأما السنة من ربه : فكتمان سره ، قال الله عز وجل :

{ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول } . الجن/٢٦ ..

وأما السنة من نبيه (ص) : (فمداراة الناس ، فإن الله عز وجل أمر نبيه (ص) بمداراة الناس ، فقال : {

خذ العفو وأمر بالعرف } . الأعراف/١٩٩ ..

وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء .. انتهى .

فمن يكون مراداً منه الاقتداء بصفة ربه التي يمتدح بها ، لا شك أنه معدّ لمقام عظيم وخطب جسيم ، وذلك أن الله يريد أن يمكّنك داره التي اختارها واجتباها لأوليائه وأصفيائه وأحبائه ، وهي الجنة ، فلا بد أن يرشدك إلى الصفات التي تشبه بسكان تلك الدار ، حتى تحصل المناسبة بينك وبين الدار وبين سكانها .

وأما الدار ، فهي طيبة طاهرة على أكمل ما يكون من الصفاء والنورانية ، وأما أهلها ، فهم الأنبياء ، والمرسلون والشهداء ، والصديقون ، فتأبى حكمة الحكيم أن يرضى بكونك بتلك الدار غريباً أجنبياً عنها ، وعن أهلها ، بحيث يكون وضعك في ذلك المكان وضع الشيء في غير محله اللائق به . (١)

(1) هذه الفقرات لو تم استيعابها ، فإنها ستحوّل العيد من عالم العبادة المتكلفة ، إلى عالم العبادة المنسجمة مع طبيعة المزاج ، فإنه نظراً لرغبته في أن يكون مسانحاً لتلك الدار ، فإنه يألف كل ما تحقق له تلك المسانحة ، ولو كان تكليفاً شاقاً بعنوانه الأولي .. فمن الواضح أن العبادة التي يؤتي بها تعبداً وتكلفاً ، ليس فيها إلا الأجر ، بينما المطلوب من العبادة ، أن ترفع بالعبد إلى مستوى الأُنس برب العالمين ، ذلك الأُنس الذي يجعل العبد ينسى كل مشقة في سبيل تحصيل رضاه . (المحقق)

وهو سبحانه برأفته ورحمته لك ، لا يرضى لك إلا ذلك المكان الطيب الطاهر ، فاقضى ذلك شدة العناية الإلهية بإرشادك إلى أعلى الصفات ، وأكملها ، وأبهاها ، وأسناها . فلم يرض منك إلا بأن تكون مقتدياً في الصفات التي لشرها ، ورفعتها ، وجلالتها قد نسبها إليه عز وجل ، وأتتى بها على نفسه .

فمن يكون متصفاً بالصفات المنسوبة إليه ، يليق به أن يسكن في الدار المنسوبة إليه ، ولما كان جيرانه في تلك الدار أولياء الله ، ألزمه بأن يتصف بصفاتهم . فعندها يخاطب الباري سبحانه نفسه ، التي طابت وطهرت بالاتصاف بتلك الصفات الطيبة الطاهرة ، بقوله عز وجل : { يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي } . الفجر/٢٧ ..

وتلك الصفات كثيرة ، إلا أن الإمام (ع) اختار منها ثلاثة للاهتمام بشأن هذه الثلاثة ، حتى وصف الإيمان معلقاً عليها .

فالأولى : كونه كاتماً لسره ، وذلك أن أغلب الخلق غالباً فيهم النقص وعدم الكمال ، ولكن صفات الكمال معلومة الحسن والجمال والشرفية ، بحيث أنهم يتمنونها لأنفسهم ، لكن لمخالفتها لهوى النفس الأمارة ، وضعف همّتهم لمجاهدتها يتقاعدون عنها .

فإذا رأوا من له همة الاتصاف بها يخافون أن يتصف بها ، فيفوقهم في ذلك ، والنفس لا ترضى بالانحطاط عن الأقران ، بل تريد التفوق عليهم طبعاً ، فما دام يمكنهم يسعون كل السعي في منعه من ذلك بالأفعال ، والأقوال ، وبكل حيلة .

والشخص الواحد لا قابلية له على مقاومة من لا يحصى عددهم ، فلم يجعل الشارع للمؤمن طريق خلاص من ذلك إلا بكنم سرّه ، وهو عدم إظهار ما هو بانٍ عليه ، فحينئذ يكفى من شرّ الخلق ، ولا ينقطع عليه الطريق .

فلما علم أهل البيت (ع) الأطباء الماهرون والحكماء المشفقون ، أنّ نفس هذا المؤمن الأمارة بالسوء أيضاً هي من جملة أعدائه ، وهي من جنس هؤلاء القطّاع للطريق ، رغبوا المؤمن هذا الترغيب العظيم في كتم السرّ ، وبيّنوا له من صفات الربّ التي مدح بها نفسه ، وأنّ وصف الإيمان موقوفٌ على ذلك .

والمقصود رفع منازعة النفس ، وميلها إلى الإظهار ، فيتوسل إلى ذلك تارةً بأن فيه انتفاعاً لمن تظهره له ، وتارةً بقصد إدخال السرور عليه ، وتارةً بقصد الاستعانة بنظره لعل له نظراً في ذلك ، أو بدعائه ، أو لعله ينقله إلى من ينتفع به ، إلى غير ذلك من الرجحان للإظهار . (٢)

(2) إشارات جميلة إلى صور تلبس إبليس ، الذي عندما يؤس من إيقاع العبد في الباطل المكشوف ، يلجأ إلى أسلوب تزيين الباطل بالحق .. ومن هنا كانت البصيرة الكاشفة عن هذا التزيين ، من لوازم السير إلى الله تعالى ، وهذا التزيين ممكن في كل مرحلة من مراحل السالك ، إلهاءً له بالمهم عن الأهم .. فكان لزاماً على العبد عند كل إقدام أو إحجام أن يدرس الاحتمالات الأخرى البديلة ، ليكون اختيار الأفضل من بين الأفراد المتشابهة ، أقرب إلى العمل بالتكليف الواقعي ، الذي يستبطن مراد المولى واقعاً . (المحقق)

ودفع هذه التسويلات بأن ذلك لو كان راجحاً على الإطلاق ، لما اختار الله إخفاء سرّه عنهم ، وخصّه بخزنة سرّه ، إذ الحكيم لا يترك الأرجح ولا يفعل إلا الأكمل .

فعلم من ذلك أنّ في الإظهار إفساداً لهم ومنافاةً للحكمة ، فأنت أيضاً كن مقتدياً بربك في مراعاة الحكمة ، واجتناب ما فيه الفساد ، فإنّ مقصدها فاسدٌ ، وإنما أبدته في صورة الصلاح ، وقد قال مولانا علي بن الحسين (ع) للزهري :

وإياك أن تتكلم بما يسوق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره ، فليس كل ما أسمعته نكراً ، أمكنك أن توسعه عنراً . البحار .. 71/156 :

وفي المنسوب إليهم (ع) شعرا :

ان لاكنم من علمي جواهره ----- كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتننا
وقد تقدم في هذا ابو حسن ----- الى الحسين واوصى قبله الحسن
يارب جوهر علم لو ابوح به ----- لقبل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ----- يرون اقبح ما ياترنه حسنا

وهو مشهورٌ ، والأخبار الواردة في مدح كتم السرّ ، ودمّ الإذاعة في غاية الكثرة . والمتحصّل منها أنّ الإنسان بعد أن يكون الغالب عليه حبّ الكتم وكرهه الإفشاء ، ينظر بعين العقل ، حين وجد مقاماً للإظهار أظهر بمقدار الضرورة ، متحرّياً في ذلك امتثال أمرهم (ع) بقولهم : لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوا أهلها فتظلموهم . البحار : ٧٨/٢ ..

واعلم أنّ صفة كتم السرّ تشتمل على أمرين :

أحدهما : كون المؤمن ذا سرّ .

والثانية : أن تكون له ملكة الإخفاء والكنم ، بحيث لا تغلبه نفسه على الإفشاء والإذاعة .

وهذا الكلام كلّه في الثاني ، وأما الأول فيكفي فيه ما قاله الصادق (ع) يوماً للمفضل بن صالح :

يا مفضل !.. إنّ الله عبداً عاملوه بخالص من سرّه ، فعاملهم بخالص من برّه ، فهم الذين تمرّ صحائفهم يوم القيامة فرغاً ، فإذا وقفوا بين يديه ملأها من سرّ ما أسروا إليه .
فقال المفضل: يا مولاي ، ولم ذلك ؟ ..
فقال: أجلهم أن تطّلع الحفظة على ما بينه وبينهم .
قال شيخنا أبو العباس أحمد بن فهد في (عدة الداعي) بعد ذكره لهذا الحديث الشريف : لا تغفل عن هذه المقامات الشريفة ، التي هي أنفس من الجنة . [عدة الداعي : ١٩٤] .. (٣)

(3) أن يكون المؤمن ذا سر في الحياة ، من الأمور التي غفل عنها عامة الخلق ، فإنهم اكتفوا بعمارة الدنيا ، من دون أن يكون لهم سعي متميز لما يحقق لهم سعادة الأبد.. إن على كل مؤمن - يعتقد بحياة أخرى تتجلى فيها ثمرة الأعمال - أن يحمل همّاً خاصاً في مجال تحقيق صلة متميزة مع ربه والتي تعتبر هي المحور في كل نشاطاته.. ومن الواضح أن طبيعة هذه الصلة تختلف من عبد إلى عبد ، بحسب ما أوتي من قابليات يمنحها له رب الوجود ، إلى أن يصل الأمر إلى حبيبه المصطفى (ص) الذي كان مع الله حالات لا يحتملها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل. (المحقق)

وأنا أقول بهذا المعنى يقول القائل ، وقد أجاد إذا أراد هذا المراد :
قلوب العارفين لها عيون ---- ترى ما لا يراه الناظرون
والسنة بأسرار تناجي ---- تغيب عن الكرام الكاتبينا
وافئدة تطير بلا جناح ---- إلى ملكوت رب العالمينا

فهذا ما يتعلق بالسنة الأولى .
والثانية : هي مداراة الناس .
وهي السنة عن النبي (ص) ، وقد قدّمنا لك عن علي (ع) : (أنّ أحبّ الخلق إلى الله من تأسّى بنبيه .
كما وحكمتها كحكمة كتمان السرّ ، بل كتمان السرّ على ما فسّرناه نوعاً من أنواع مداراة الناس .

وفي الكافي عن الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض ، وعنه عن جدّه أيضاً قال : مداراة الناس نصف الإيمان ، والرفق بهم نصف العيش.
الكافي : ١١٧/٢ ..

ثم قال الصادق (ع) : خالطوا الأبرار سرّاً ، وخالطوا الفجار جهاراً ، ولا تميلوا عليهم فيظلموكم ، فإنه سيأتي عليكم زمانٌ لا ينجو فيه من ذوي الدين إلا من ظنّوا أنه أبله ، وصبر نفسه على أن يُقال أنه أبله لا عقل له. الكافي .. 2/96 :

وعنه أيضاً عن جدّه (ص) : ثلاثة من لم تكن فيه لم يتم له عمل : ورعٌ يحجزه عن معاصي الله ، وخلقٌ يداري به الناس ، وحلمٌ يردّ به جهل الجاهل . الكافي : ٩٥/٢ ..
وفي الحديث عن الصادق (ع) : من كفّ يده عن الناس ، فإنما يكفّ عنهم يداً واحدةً ، ويكفون عنه أيدٍ كثيرة . الكافي .. 2/96 :

فيا أخي !.. ما يصدر من بعض من يدّعي الصلاح والتقوى من أنني لا أبالي بالناس ، ولست محتاجاً ، ومن يكون الناس ؟.. إلى غير ذلك من الكلمات التي تصدر منهم في مقام عدم المداراة كلّها ، من أتباع هوى النفس ، والجهل بطريقة أهل البيت (ع) . (٤)

(4) هذه صورة جميلة من صور الواقعية والالتزام بمنهج أهل البيت (ع) عند المعتنق ، فإن احتقار الآخرين من المزالق المتعارفة في هذا المجال ، وذلك لما يراه السالك من بعض الصور الروحية

المشركة ، التي قد تذهله حتى عن تكليفه الذي أمر به عند التعامل مع الخلق .. والحال أنه لو نظر إلى الخلق على أنهم عيال لله تعالى ، وإن الإحسان إليهم إنما هو من صور الطاعة لمن خلقهم لما احتقر عبداً ولو كان من عصاة الخلق.. إذ المعلوم أنه لو انتهت كل روابط العبودية الاختيارية مع الرب ، فإنه تبقى رابطة الخالقية والمخلوقية ، كآخر حلقة وصل بين العبد وربّه.. (المحقق)

وكثيرٌ من الجهّال يشتبّه عليه مقام المداراة للناس في مقام المداهنة ، فيتخيّل أنّ المداراة للناس المأمور بها المداهنة .

والفرق واضحٌ ، فإنّ المداهنة المذمومة هي الموافقة على تحسين القبيح ، أو ترك إنكاره رغبةً وطمعاً فيما عندهم ، ليتوسّل إلى منافعهم الدنيوية ، أو يجلب قلوبهم إليه من دون ملاحظة دفع مفسدة .

ومما يدلّ على حسن الرفق والمدارة ، وأنه يجزّ إلى كلّ خير ، الرواية المشهورة للشامي الذي تكلم بما لا يليق مع علي بن الحسين (ع) ، لما حملوه إلى يزيد لعنه الله في الشام ، فقال الشامي : الحمد لله الذي قتلكم ، وأكذب أعدوتكم ، وأراح الناس منكم . فلما فرغ من كلامه قال له الإمام (ع) : يا شيخ !.. أتقرأ القرآن؟ ..

قال: نعم

قال: هل قرأت قوله : { قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى . } الشورى/ ٢٣ ..

قال نعم .

ثم قال : هل قرأت قوله : { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } . الأحراب/ ٣٣ ..

قال: نعم

ثم قال : يا شيخ ، قل قرأت قوله تعالى : { وآت ذا القربى حقه } ؟ .. الإسراء/ ٢٦ ..

قال : نعم .

قال الإمام (ع) : نحن القربى ، ونحن أهل بيت نبيك !..

قال : فرغ الشيخ كفته إلى السماء ، وبكى وتبرّأ من قاتل الحسين ، وبكى وتاب . البحار : ١٢٩/٤٥

فانظر كيف جرّه الرفق إلى الخير ؟ ..

والمداراة ترك الإنكار دفعاً للمفسدة ، أو لأجل تخفيفها ، أو تحرزاً عن تهيجها ، وأين هذا من ذلك . والمداراة قد تكون لدفع الشرّ ممن تداريه ، وقد تكون لاستجلابه إلى الخير ، وكلّها في مقام لا محلّ للإنكار ، وأما للخوف ، أو لعدم التأثير ، فحينئذ الرفق والبشاشة وتحمل الأذى ، والدفع بالتي هي أحسن هي المداراة ، قال الله فيها :

{ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم } . فصلت/ ٣٤-٣٥ ..

ومنها قوله تعالى : { فقولاً له قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى } . طه/ ٤٤ ..

ومنها في الكافي عن الصادق (ع) قال : إنّ النبي (ص) بيّنا هو ذات يومٍ عند عائشة ، إذ استأذن عليه رجلاً فقال النبي (ص) : بئس أخو العشيرة !..

فقامت عائشة فدخلت البيت ، وأذن رسول الله للرجل ، فلما دخل أقبل عليه رسول الله (ص) بوجهه الشريف وبشره ، وأقبل يحدثه حتى إذا فرغ وخرج من عنده ، قالت عائشة : يا رسول الله !.. بيّنا

أنت تذكر هذا الرجل فيما ذكرته به ، إذ أقبلت عليه بوجهك وبشرك !..

فقال النبي (ص) عند ذلك : إنّ من شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه [.. الكافي : ٢٤٦/٢] ..

انتهى.. فهذا كله من المداراة التي هي نوعٌ من التقية ، وقد ورد في مدح التقية ما لا يُحصى حتى فسّر قوله تعالى : { إِنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم } . [الحجرات/ ١٣] ..
بأن المعنى : أعدلكم في التقية .. وحتى قالوا أن تسعة أعشار الدين في التقية . الكافي : ١٧٢/٢ ..

ويكفيك ما في الكافي عن حماد بن واقد الفحام قال : استقبلت أبا عبد الله (ع) في طريق ، فأعرضتُ عنه بوجهي ومضيت ، فدخلتُ عليه بعد ذلك فقلت : جعلت فداك !.. إني لألثاك فأصرف وجهي كراهة أن أشقّ عليك .
فقال لي : رحمك الله !.. ولكن رجلاً لقيني أمس في موضع كذا وكذا فقال : عليك السلام يا أبا عبد الله ، ما أحسن ولا أجمل . الكافي : ١٧٣/٢ .. انتهى .
فانظر لمن لاحظ كيف استحق دعاء الإمام له بالرحمة بترك السلام عليه ، وانظر إلى من لا يلاحظ المقام ، وترك مجارة الخلق ، كيف شكاه منه الإمام وقال : إنه ما أحسن ولا أجمل . (٥)

(5) من هذه الرواية وأشباهاها ، تعلم قاعدة مهمّة من قواعد التعامل كما أراده أهل البيت (ع) ألا وهي مراعاة موارد التزام ، وإن المؤمن لا يأخذ بأمر راجح ، ناسياً كل جهات الرجحان الأخرى ، فإن مقتضى العقل - التي تنادي به الروايات الكثيرة - هو أن يقلب المؤمن الأمر الواحد من جهات شتى ، ليخرج بعد سياسة الكسر والانكسار ، بالحصيلة النهائية المتمثلة بما يرضي الله تعالى في النتيجة ، وإن كانت هناك خيارات مرضية أخرى له ، ولكنها مزاحمة لتلك الحصيلة النهائية.. (المحقق)

فمن هذا الحديث وأمثاله تعرف أن إكرام المؤمن بترك إكرامه ، حيث يكون إكرامه باعثاً إلى الحسد له وإثارة الفتن .
وقد يكون إكرامه بالقدح فيه ، كما صدر من بعض الأئمة في حق بعض الخواص ، وهو من باب خرق السفينة لتسلم .

الثالثة: الصبر في البأساء والضراء .
ولا ريب أن الدنيا سجن المؤمن ، فأبي سجن جاء منه خير ، ولقد قال الصادق لرجل اشتكى عنده الحاجة ، فقال له: اصبر سيجعل الله لك فرجاً ، ثم سكت ساعة ، ثم التفت إليه فقال : أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو؟.. فقال : ضيقٌ منتنٌ ، وأهله بأسوء حال .
قال : فإنما أنت في السجن ، فتريد أن تكون فيه في سعة ، أما علمت أن الدنيا سجن المؤمن . [الكافي : ١٩٥/٢] .. انتهى .

فالمؤمن إما أن يكون من أهل الشوق إلى الآخرة ، فيكون أصل بقائه في الدنيا سجنًا له ، فضلاً عما يعرض له من البلاء . (٦)

(6) ما أجمله من تشفيق في المقام لذوي المصائب ، فإن المصنف بيّن اثر البلاء لجميع الأصناف بدءاً بأهل الآخرة ، وانتهاً بأهل الدين ، ولكن شتان ما بين أثر البلاء على أهل الآخرة ، الذي يزيدهم شوقاً إلى الدار الذي لا بلاء فيه ولا عناء ، وبين أثره على أهل الدنيا الذي يزيدهم أجراً من دون أن يتحول إلى حالة باطنية من الإحساس العميق بالقرب الإلهي ، التي توجهه النفحات الإلهية الخاصة بأوليائه ، الملتفتين إليه والمراقبين له.. ومن هنا جعلت الآية الصلوات الإلهية نازلة على القانتين (إنا لله وإنا إليه راجعون) .. ومن المعلوم انه لا يراد به المثل المجرد من دون وجدان حالة الارتباط بالمالك المطلق وعمق الانتماء إليه... (المحقق)

وإما أن يكون ممن يخشى عليه الميل إلى هذه الدنيا ، والرغبة لما فيها ، فتأتي رافة الحكيم فتزعجه منها بأنواع الابتلاء ، حتى يتنفر منها ولا يركن إليها ، فإنها دار الظالمين .

وإما أن يكون ضعيف العمل ، قليل الطاعات ، فتأتي رافة الحكيم الرحيم أن لا يحرمه ثواب الابتلاء بالمصائب ، وقد قال الصادق (ع) : (لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب ، لتمنى أنه قترّض بالمقاريض. الكافي : ١٩٨/٢ ..
وقال الصادق (ع) : من ابتلي من المؤمنين ببلاءٍ فصبر عليه ، كان له مثل أجر ألف شهيد . الكافي : ٧٥/٢ ..

وقال الصادق (ع) : إنه ليكون للعبد منزلة عند الله عزّ وجلّ ، فما ينالها إلا بإحدى خصلتين : إما بذهاب ماله ، أو ببليّة في جسده . [الكافي : ١٩٩/٢ ..] انتهى .

فالابتلاء إما أن يكون للمؤمنٍ مثوبة ورفع درجة ، أو عقوبة وكفارة ، وكلاهما حسنٌ محبوبٌ عند العاقل .

أما الثواب فواضحٌ ، وأما العقاب فلما اشتملت عليه أخبار أهل البيت (ع) من أن الله أكرم من أن يجمع على عبده المؤمن عقوبتين ، فكُلّ شيءٍ عاقبه عليه في الدنيا فلا يعاقبه عليه في الآخرة .

فإذا كان لا بدّ للمؤمن من الابتلاء فلا بدّ له من الصبر ، وقد خلق الله الصبر قبل أن يخلق البلاء ، ولولا ذلك لتفطّر قلب المؤمن كما تتفطّر البيضة على الصفا .
وفي الكافي عن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) : (الصبر ثلاثة : صبرٌ عند المصيبة ، وصبرٌ على الطاعة ، وصبرٌ عن المعصية .

فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها ، كتب الله له ثلثمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض .
ومن صبر على الطاعة ، كتب الله له سبحانه ستمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش .

ومن صبر عن المعصية ، كتب الله له تسعمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش. الكافي .. 2/75 :

وفي الكافي أيضا عن الصادق (ع) : إنا صبرٌ وشيعتنا أصبرُ منّا .
قلت : جعلت فداك !..كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ ..
قال له : لأننا نصبرُ على ما نعلمُ ، وهم يصبرون على ما لا يعلمون. [الكافي : ٧٦/٢ ..] انتهى .

أنظر إلى رأفتهم !.. كيف شكر لشيعتهم ، ما يقع منهم من الصبر القليل على المصائب الجزئية بالنسبة إلى مصائبهم .
يريدون أن يلحقوا بهم شيعتهم ، كي لا ينقطعوا عنهم فيهلكوا ويضمحلوا ، فإنهم علموا أن لا نجاة لشيعتهم إلا بأن يحسبوهم منهم ، ويجعلوا أنفسهم مع شيعتهم صفةً واحدةً ، فحينئذ لا يمكن ردّ الجميع ، فلا بدّ من قبول الجميع .

أما إذا كان لكلّ واحدٍ حكمه ، هلكت شيعتهم لا محالة ، فصار أقصى همّتهم ، ونهاية مرادهم من شيعتهم ، أن يتشبهوا بهم تشبهاً صورياً ، كما قال أمير المؤمنين من أنّه : من تشبه بقومٍ أوشك أن يكون منهم. نهج البلاغة : الحكمة (٢٠٧) .

ثم يتمّون ذلك بالشفاعة والدعاء ، ففي دعاء صاحب - عبّ الله فرجه وجعلني فداه - الذي سمعه السيد ابن طاووس يدعو به لشيعتهم في السرداب المقدّس ما معناه ، وقد غاب عني بعض ألفاظه :

اللهم !.. إن شيعتنا منا ، خُلقوا من فاضل طينتنا ، وعُجنوا بنور ولايتنا ، فولأنا أمورهم ، واغفر لهم ما فعلوه من ذنوبهم ، اتكالا على محبتنا ، وإن خفت موازينهم ، فثقلها بفاضل حسناتنا. البحار : ٣٥/٣٠٣ باختلاف. (٧)

(7) تأمل في عمق الرابطة العاطفية بين المعصوم في كل زمان ، وبين رعيته الذين يحشرون تحت لوائه.. ولا عجب في ذلك ، فإن الإمام متخلق بأخلاق الله تعالى في أقصى درجة ، تحتلمه الحدود البشرية. ومن المعلوم ، إن صاحب الأمر (ع) في زمان الغيبة غير غافل عما يجري بأمة جده (ص) لأنه المعني بحوادث هذا العصر بكل مداراتها ، كما كان جده أمير المؤمنين (ع) متألما لما يجري في اليمامة أو الحجاز من بطون غرثى وأكباد حرّى.. ومن هنا لزم على المحب الصادق أن لا يزيده همّا إلى همّه .. بل يسعى للتخفيف عن همومه بالعمل بما يوجب رضاه من تفريج الكروب عن مواليه ، أضف إلى المبالغة في الدعاء له بالفرج إذ لا فرج لعامة الخلق إلا بظهوره (ع).. (المحقق)

أنظر إليه - عجل الله فرجه وجعلني فداه - كيف يببالغ بالاهتمام بخلط شيعتهم بهم ، حتى لا يختزلوا دونهم ، فتارةً : أنهم في أصل الخلقة منهم ، وتارةً بأن الذنوب الصادرة منهم منشؤها الاتكال على محبتهم ، وتارةً التضرع إلى ربّه في تكميل نقصهم بفاضل حسنات ساداتهم ومواليهم .

فيا أخي !.. هم يعلمون ما لا نعلم ، وهم الذين قالوا : لا تنظروا إلى المعصية ، ولكن انظروا إلى من عصيتم. البحار : ٧٤/٧٧ ..

فلعلمهم بخطر معاصينا ، وشدة خوفهم علينا من الهلكة ، أرشدونا إلى أن طريق النجاة المرجوة فيه السلامة إنما هو : بذل الجّد والجهد في التشبه بهم مهما أمكن ، بحيث يجعل الإنسان همّه في أن لا يفارقهم طرفة عينٍ ، لما ذكره الرضا (ع) بأن يكون اكتفاؤه من المؤمن سنّةً من وليّه .

مراده بها أن هذه السنّة تستجمع السنن كلها ، بحيث أن الصبر بمراتبه الثلاث التي هي : الصبر في المصيبة ، وعلى الطاعة ، وعن المعصية ، لا يُبقي بقية من السنن إلا وقد تضمنها .

وقد ورد التصريح في الأخبار الواردة في المتعة : بأنّي أكره للرجل منكم أن يترك خلةً قد فعلها رسول الله (ص) .

ففي الفقيه عن بكر بن محمد عن أبي عبد الله (ع) قال : سألته عن المتعة . فقال : إنّي لأكره للرجل المسلم أن يخرج من الدنيا ، وقد بقيت عليه خلةً من خلال رسول الله (ص) لم يقضها. الفقيه: ٤٦٣/٣ ..

وروي : أن المؤمن لا يكمل حتى يتمتع. الفقيه : ٤٦٦/٣ ..
وعن الصادق (ع) مرسلأ : إنّي لأكره للرجل أن يموت وقد بقيت عليه خلة من خلال رسول الله (ص) لم يأتها. [الفقيه : ٤٦٦/٣] .. انتهى. (٨)

(8) ولكن لا ينبغي الغفلة عن قانون التزام في المستحبات.. فإن الروايات بلسانها الأولي تدعو إلى خلال الحسنات تاركة تقييم ظروف العمل بها بيد المكلف، معتمداً على بصيرته ومعرفته بقواعد الشريعة الأخرى. وكمثال على ذلك فإن روايات المتعة - كما ذكرها المصنف - تدعو إلى إحياء هذه السنّة ، والتي تستنبطن علاج مشكلة قائمة في الحياة المعاشة ، لا تُحلّ إلا بالزواج الدائم ، أو المنقطع ، أو السفاح ، ولا مجال للمقارنة بين الحرام وبين السنّة التي نادى بها النبي (ص) والأئمة

من ذريته.. ولكن في المقابل نلاحظ نصاً آخر يبين ضرورة الالتفات إلى المقارنات الأخرى عند العمل بالسنة وذلك كما روي عن ابي الحسن (ع) ، انه قال لبعض مواليه: "لا تلحوا على المتعة ، إنما عليكم إقامة السنة ، فلا تشتغلوا بها عن فرسكم وحرائرکم ، فيكفرون ويتبرين ويدعين على الأمر بذلك ويلعنونا " (الوسائل ج ١٤ /ص ٤٥٠) ..(المحقق)

وهو يدل على أنهم لا يؤثرون عن شيعتهم الإخلال بسنة من سننهم، وأن من فعل ذلك ، فقد تعرض لدخول المكروه عليهم ، أعادنا الله وإخواننا من ذلك ، ووقفنا لإدخال السرور عليهم .

ولا بأس بالإشارة إلى نبذة من سننهم التي اشتد بها اعتناؤهم ، بحيث ظهر منهم الالتزام والاهتمام بها على حد الاهتمام بالواجب ، عسى أن يوقفنا الله للتأسي بهم في الالتزام بها ، إلا مع المانع القوي ، والمعارض الأهم .

فمنها الوفاء بالعهد

فيفهم من طريقتهم (ع) أن المؤمن ينبغي أن لا يلتزم بالوعد ، حذراً من عروض العوارض ، فيقع في إخلاف الوعد، وهو محذورٌ عظيمٌ في نظرهم (ع). (٩)

(9) لاحظ تعبير المؤلف بالمشعر بالتشديد في هذا المجال رغم انه لم تثبت الحرمة الشرعية – فقهاً – للإخلال بالوعد وخاصة مع العزم على الوفاء عند الوعد ثم طرء العارض .. فالمؤمن المراقب يصل إلى درجة يرى أن كل قبيح ومكروه عند المولى - وان لم تثبت حرمة الإلزامية – مما ينبغي تماشيه خوفاً من سخط المولى ولو بدرجة تناسب ذلك المكروه.. فإن المحب يتماشى موجبات كراهة حبيبه وأن لم يلزمه بذلك ، كما نلاحظ في تعامل المحبين من أهل الدنيا فكيف بمن الحب رشة من رشحات لطفه وفضله!! (المحقق)

فما دام لا يمكنه التحكم بالعوارض لا يعد ، فإذا وعد يلتزم بوعده ، ولا يتخلف عنه ، فمن تخلف عن وعده فهو مبين لطريقة أهل البيت (ع) ، ويخرج بذلك عن شعارهم ، ويدخل في شعار غيرهم ، (العياذ بالله) .

ويرشدك إلى تصديق هذا المعنى إيحاء النبي (ص) لعلي (ع) بقضاء ديونه ، وإنجاز عاداته . فلو لم يكن عنده معاملتاً معاملة الدين ، وملتزماً به التزام مشغول الذمة به ، لكان من أعظم الأعداء فيه عروض الموت ، وفوات التمكن ، فلم يحتج إلى إلزام الوصي به على حد إلزامه بالديون . ولقد أجاد من قال شعراً :

ان الفتى من بدا منه الجميل بلا ----- وعد ومن انجز الميعاد نصف فتى
ومن تخاى عن الامرين فامرأة ----- ونصف امرأة من خلقه ثبنا

واعلم أن مرادنا من الالتزام بوفاء الوعد الذي هو طريقة أهل البيت (ع) ، إنما هو ما كان من عروض الموانع والأعداء ، على وجه يبقى معه إمكان الوفاء . أما مع عدم عروض الموانع فذلك لا كلام فيه ، لأن الإخلال بالوعد لا لداع ، نقص وقبح لو صدر من أقل الناس ، فلا يليق أن يعد التحرز منه في خواص أهل البيت (ع) التي تريد الحث على الإقتداء بها .

منها الاحسان التبرعي فوق الواجب وفوق ما حصل به الوعد

إذ هو عندهم كالواجب ، فعن النبي (ص) أنه كان حسن الوفاء ، بمعنى أن عاداته الشريفة مستمرة على أنه إذا استدان يُعطي قدراً زائداً فوق الدين ، بحيث أنه قد عُرف بهذه العادة .

وأما أهل بيته فسجيتهم الكرم ، وعاداتهم الإحسان ، كما في الزيارة الجامعة ، وهم الممثلون لنص {

إن الله يأمر بالعدل والإحسان { النحل / ٠٩ ..
وعن علي (ع) : أنه أعتق ألف مملوك من كدّ يمينه . [البحار : ٣٢٠/٦٣] .. وكان لا يكتفي بعقبتهم ، بل يبذل لهم بعد العتق وصلة إلى التعيش والاكتساب .
وكذلك لما وعد الأعرابي بمكة بأربعة آلاف درهم ، باع له الحديقة التي غرسها رسول الله (ص) فأعطاه الوعد وأفضل عليه . البحار : ٤٥/٤١ ..
والإحسان التبرعي فوق الدّين ، أو فوق الوعد ، له موقع في النفوس ، ولو كان بشيء جزئي ، ويُفهم من طريقة أهل البيت (ع) الالتزام به . (١٠)

(10) إن على المؤمن أن يستوعب فقه الإنفاق بجوانبه الشرعية والأخلاقية ، ومن ذلك الإحساس ، بأن ما ينفقه إنما هو تصرف في ملك مولاه بإذنه بل يطلب منه ، فلا داعي للعجب بعد ذلك ، لأن ما قد يستحق العجب هو الإنفاق من الملك الحقيقي لا – الملك الاعتباري – ولهذا تراهم ينفقون وقلوبهم وجله لأنهم سيرجعون إلى ربهم وسيسألهم عما أنفقوا – ولو في الصالحات – وذلك لإمكان الخلل في أصل اكتساب المال أو في طريقه إنفاقه .. ومن فقه الإنفاق عدم اتباع ما أنفقه باليمن والأذى ، فإنها من لوازم عدم الإحساس بحقيقة انه ستخلف في ذلك المال .. (المحقق)

ومنه الإيثار على النفس ولو مع الخصاصة

قال الله تعالى : { ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة } . الحشر/ ٩ ..
واعلم !.. أن المؤمن ما لم يلتزم بالإيثار على النفس ، ويجعل همّه ذلك ، فلا بدّ أن يغلبه حبّ النفس وهوها على الحيف ، وترك الإنصاف ، ولو في بعض الأحيان ، فلا يكون مؤمناً ، لأنّ المؤمن من أمّن الناس شرّه .
بخلاف من ألزم نفسه بالإيثار ، فإنّ غاية ما تنازعه عليه نفسه ترك الإيثار ، فإن فاتته الإيثار فلا يفوته أصل أداء الحق ، فعلى كلّ تقدير يكون الظلم مأموناً منه . (١١)

(11) هذه لفظة جميلة من المؤلف .. فجعل للمؤمن دوائر أمانة فوق الدوائر الخطرة ، فإنه دعا للإيثار الذي لو خانت نفسه فيه بقي أصل إنفاقه مأموناً من التفريط فيه، وهذا هو الأسلوب الذي ينبغي اتباعه في كل المجالات الأخلاقية ، فيمتنع السالك نفسه ببعض صور الحلال المشتبه ، كالنظر إلى اللغو وإلى ما قد يحرم فتطويعه نفسه فيما هو حرام قطعاً كالنظر إلى المحرمات .. (المحقق)

المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا قليلٌ من كثيرٍ ، والاقتصار على هذا المقدار أولى .. والله

الباب التاسع : في الرضا بالقضاء

إعلم كما قدّمنا أنّ مدار ترقّي المؤمن على تأسّيّه بالنبي (ص) وأهل بيته (ع) .. وقد روي في الكافي عن ابن ابي يعفور عن الصادق (ع) قال: لم يكن رسول الله يقول لشيء قد مضى : لو كان غيره . [الكافي : ٥٢/٢] .. انتهى .

انظر إلى تحرّجه إلى تمّنيّ خلاف الواقع ، حذراً من الوقوع فيما ينافي الرضا .. فالمطلوب من المؤمن توطين نفسه على الرضا بالواقع كيف كان .
واعلم أنّ منشأ عدم الرضا ، وتمّنيّ خلاف الواقع ، إنما هو الجهل بحكم الأشياء ومصالحها ، فلو ظهرت له حكمة الأشياء لما تمّنيّ الإنسان غير الواقع .. فإذا عوّد المؤمن نفسه على التأمل في حكم الأشياء ومصالحها ، يظهر له كلّ كثير منها ، ويسهل عليه الرضا ، وما لم يظهر له وجهه يمكن أن يجعله من باب إلحاق المجهول بالأعمّ الأغلب . (١)

(1) إنّ إصرار العبد على حاجة من الحوائج فرع اليقين بخواتيم الأمور ، واليقين بأنّ قضاء تلك الحاجة مما يختم له بالسعادة والحال أنّ العبد لم ينكشف له ما يوجب له مثل هذا اليقين ، وعليه من الموجب للإصرار الذي يجعله متبرماً من قضاء الله وقدره في تأخير الإستجابة لحاجته؟! إنّ العبد الذي لا يرى إلا قضاء حاجته يتهم الله - وإن لم يعتقد بذلك شعوراً - في حكمته البالغة التي اقتضت تأخير الإستجابة ، أو تأجيلها للأخرة بأضعاف مضاعفة ، حيث يتمّنى العبد معها أنه لو لم تقضى له في الدنيا حاجة واحدة (المحقق)

ولكلّ شيءٍ مصالِحٌ عديدةٌ ، وحكمٌ كثيرةٌ ، فمهما توجه الإنسان إلى ربه ، وطلب منه إظهار بعض وجوه الشيء ، أظهر له على حسب استعداده وقابليته ، وطلبته وإرادته .
وهذا أقرب الطرق في تحصيل الرضا بالقضاء .

وأما توطين النفس على الرضا بالشيء - ولو مع إخفاء حكمته والجهل بها - ففيه صعوبة بالنسبة إلى ما ذكرناه .

وقد نقل أن مولانا الحسن بن علي (ع) علّم بعض الشيعة في عالم الطيف ، أنه ينال ما يريده من نهاية القرب منهم ، والتمكّن من رؤيتهم مهما أراد ، بالاتصاف بما في هذه الأبيات وهي قوله :

كن عن همومك معرضاً ----- وكل الامور الى القضاء
فلربما اتسع المضيق ----- ولربما ضاق الفضاء
ولرب امر مسخّط ----- لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء ----- فلا تكن معترضا
الله عودك الجميل ----- فقس على ما قد مضى

فلعمري أنّ هذه الأبيات فيها الشفاء من كلّ داء لمن عمل بها ، وعمدتها تحصيل درجة الرضا بالقضاء { وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم } . فصلت/ ٣٥ ..

وقد اشتملت هذه الأبيات الشريفة الصادرة من ينبوع الحكمة ، ومعدن العصمة ، على طرفٍ من الإرشاد إلى تحصيل هذه الرتبة السنيّة .
فمنها كون الإنسان معرضاً عن همومه ، وهو من أعظم المقدمات لينال هذه الدرجة ، فإنّ واردة الهموم أعظم شيءٍ إفساداً للقلب ، والقلب وقت اشتغاله بها معرضٌ عن ربه ، مشغولٌ عن

التوجّه إليه سبحانه بما فيه من الهموم والأحزان ، فتظلم أقطار القلب وجوانبه بإعراضه عن باريه ، وتتهدّب بنية الجسد ، وربما يؤثر مرضاً شديداً ، مؤدياً إلى الهلاك والعطب .

ثم بعد اليأس والعجز عن التدبير ، وانقطاع الحيل والآمال ، ترى الإنسان يقول: (على الله) ، كأن الله وكله إلى تدبيره التي لا تسمن ولا تعني من جوع . وكل هذا ناشئ من الجهل بمراد الله ، وبطريقة أهل البيت (ع) ، ومن الأُنس بما اعتادته النفس الأُمارة .

والذي أرشد إليه أهل البيت (ع) ، أنّ الواجب على المؤمن أن يُعوّد نفسه على الإعراض عن الهموم ، حتى ينفّر قلبه للتوجّه إلى باريه ، قال الله عز وجل : { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب } . الرعد/ ٢٨ .. فالقلب إذا توجّه إلى ذكر الله ، وعطفه ولطفه ، ورأفته ورحمته ، فرّت عنه الهموم والأحزان والغموم .. فإنما تنشأ من الالتفات إلى جانب النفس وإجراء الأمر على ما يقتضيه حالها من العجز ، والضيق والتحيّر بكلّ شيء ، والحرص على ما في يدها . (٢)

(2) إنّ مشكلة الهموم والغموم من موجبات الضنك في المعشية ، وخاصةً في هذا العصر الذي كثرت فيه متطلبات الإنسان ، مع الخيبة في تحقيق أكثرها ، مما يوجب انتكاسةً بعد كلّ خيبةٍ ومجموع هذه الانتكاسات يوقع الإنسان في حالة من الكآبة المزمنة والقلق الدائم والحلّ الوحيد لذلك ما ذكره المصنف من ترك الحرص ، وعدم الالتفات إلى ما يورث الهمّ والغمّ ، وذلك بعدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى ، الذي إذا عظّم في قلب العبد صغُر ما دونه في عينه وعندئذ يتحقق الاطمئنان الذي يوجبه الذكر ، بالمعنى الذي أراده القرآن الكريم (المحقق)

وأما مع الالتفات إلى حفرته الأحذية التي كل بعيد عندها قريبٌ ، وكلّ صعبٍ عندها سهلٌ ، ونسبة الأشياء إليها على سواء ، ومقتضاها الرأفة والرحمة فأين الهمّ والغمّ ؟.. ولماذا يكون الأسف والحرز ؟ ..

فإن كان على ما فات لا يعود ، فهو يخلفه بأضعاف مضاعفة ، فربما كان فوته تجارة لا خسارة ، حيث فاتك واحد وعوّضت عنه بألف ، أو بالآلاف ، أو بما لا عداد له ولا نهاية .

فيا أخي !.. لا راحة للقلب حقيقة إلا عند ذكر الله ، ولا اضطراب له إلا عند التفات النفس إلى عالم الضيق ، والحرص والبخل ، واليأس من الروح والراحة . فالإعراض عن الهموم يكون باعثاً على التوجّه إلى الحيّ القيوم ، أو يكون منبعثاً عن التذكر الفارج للهموم ، والكاشف للغموم .

فأقلّ ما يتوسّل به إلى تحصيل الرضا بالقضاء ، هو إلقاء الهموم والغموم عن القلب ، وتفريغ البال للتوجّه إلى حضرة ذي الجلال . فعند ذلك نشاهد أطافه الخفية والجلية ، وضمانه لعبده الكفاية في الأمور الكلية والجزئية ، وهو قوله عزّ وجلّ : { أليس الله بكافٍ عبده } . الزمر/ ٣٦ ..

فلا تجد مناصاً عن إيكال الأمور إلى قضائه ، فإنّ الله عزّ وجلّ وإن أمر بالأسباب ، لكنه لم يأمر مطلقاً ، بل بشرط عدم الاعتماد عليها ، وترك الاتكال عليها ، فيكون الإتيان بالأسباب حينئذ امتثالاً لأمره ، فإن أثرت فبأذنه عزّ وجلّ ، وأن لم تؤثر فالعبد قد امتثل ، وفرغ عن عهدة التكليف ، وعلى الحكيم أن يفعل ما تقتضيه حكمته ، وعلى العبد أن يكل الأمر إلى قضائه ، فيصبر له ، أو يسلم ، أو

يرضى .

فالقضاء إن كان بالمحبوب فهو المحبوب ، وإن كان بما تكره النفس فالواجب على العبد أن يسلي نفسه بأنه ربما اتسع المضيق ، ورب للتكفير في هذا المقام بقرينة المقام ، وربما ضاق الفضاء وهو أيضاً كثير .

فالحكيم لا بدّ أن يقأب على عبده الأحوال ، لئلا يطمئن إلى حال ، ومراده أن يكون منقطعاً إليه في كل الأحوال .
حيث أنه في حال اليسر لا يأمن تبديله في كل دقيقة ، فلا بد في كل دقيقة من الانقطاع إليه في تلك الدقيقة ، وهكذا . (٣)

(3) من هذا البيان يُعلم أن المؤمن الذي يستثمر البلاء في جهة الانقطاع إلى الله تعالى ، لا يستوحش من البلاء فحسب ، بل يرحب بمثل هذا البلاء الذي يسوقه نحو مولاه سوقاً حثيثاً وهذا هو السبب في عدم اضطراب سرّ الأولياء في أحلك الظروف ، بل هذه من المقامات والحالات التي لا يستوعبها أهل الدنيا فضلاً عن إدراكها (المحقق)

وكذلك في حال العسر والانقطاع ، يكون العبد إليه أحوج لعجزه وضعفه عن تحمل البلاء .
فإن كان لا بدّ من تقلب الأحوال على هذا العبد ، فلا بدّ من تسليّة النفس بأنّ هذه الأحوال لا تدوم ، وكثيرٌ فيها التقلب والتبدل ، فينبغي أن لا يعتد بفرحها ولا يؤثر من فرحها ، وذلك قوله عزّ وجلّ :
{ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم } . الحديد/ ٢٣ ..

ويضاف إلى هذا في التسليّة ، بأنّ أكثر هذه الابتلاءات اختبارات .. فإذا انكشف حال العبد إما بالصبر ، أو بالعجز ، أو بالضجر ، وعرف من نفسه ذلك رفع الله عنه ذلك ، وجعل عاقبة أمره يسراً (٤)

(4) هذه بديعة من بدائع المؤلف ، فقد جعل للبلاء إحدى الثمار المذكورة ، ثم بعث الأمل في النفوس - التي لا تريد دوام البلاء - قائلاً بأنه إذا حصلت الثمرة وتحققت النتيجة ، فإن الله تعالى سيرفع البلاء الذي استهدف إحدى الثمار المذكورة ومعنى ذلك أن من طرُق تحصيل العافية ، هو تحقيق تلك الثمار قبل البلاء وذلك بالمجاهدة الباطنية ، وكثرة التأمل في أحوال النفس ، والاعتراف بين يدي الله تعالى بالمسكنة والضعف (المحقق)

، وهو قوله :

ولرب امر مسخط ----- لك في عواقبه رضا

والاختبار غالباً مجرد حصول وقوع الابتلاء ، من دون حاجة إلى طول المدة ، فإذا كانت المدة قصيرة ، والعاقبة لما فيه رضاه هان الخطب .
وأما قوله :

الله يفعل ما يشاء ----- فلا تكن معترضا

ففيه تحذيرٌ من الاعتراض على قضاء الله ، وقد قال أمير المؤمنين (ع) : من أصبح على الدنيا حزينا ، فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً . قصار كلماته : ٢٢٨ .. كذا في نهج البلاغة .
وفي الكافي عن الصادق (ع) : أن الحسن بن علي (ع) لقي عبد الله بن جعفر فقال : يا عبد الله ! ..

كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه ، ويحقر منزلته ، والحاكم عليه الله ؟ .. وأنا الضامن لمن لا يهجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجيب له . الكافي : ٥١/٢ ..
وأما قوله :

الله عودك الجميل ----- فقس على ما قد مضى

ففيه كمال التأمل بتذكر عوائد الله الجميلة ، وألطافه الجليلة ، التي بملاحظتها يحصل للعبد علم عادي ، بأن الله لا يخليه إذا انقطع إليه فيما دهاه من الفواحش ، من عطفة من عطفاته يحي بها الموات ، ويرد بها ما قد فات ، وقد اشتمل على هذا المعنى والمعنى الذي قبله شعرٌ منسوبٌ في مصباح الشريعة إلى مولانا علي (ع) :

رضيت بما قسم الله لي ----- وفوضت امري الى خالقي
كما احسن الله فيما مضى ----- كذلك يحسن فيما بقي

والأخبار الواردة في الحث على الرضا أكثر من أن تحصى .
فمنها الحديث القدسي المشهور أن الله تعالى يقول : لا إله إلا أنا ، من لم يصبر على بلائي ، ولم يرض بقضائي ، فليتخذ ربا سواي . [البحار .. [79/132] وكفى بهذا التهديد الإلهي واعظاً لمن عقل ، ومنبهاً لمن جهل .

وعن الحسين بن خالد ، عن الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : " قال الله عز وجل : من لم يرض بقضائي ، ولم يؤمن بقدري ، فليلتمس إلهاً سواي . "
قال : قال رسول الله (ص) : في كل قضاء الله عز وجل خيرة للمؤمن . [البحار : ١٣٩/٦٨] ..
انتهى .

واعلم يا أخي { يحو الله ما يشاء ، ويثبت ، وعنده أم الكتاب } . والقضاء أول ما يرد على العبد يرد بطور الإجمال ، يعني بحيث يمكن أن يكون نعمة وأن يكون نقمة ، وإن كان ظاهره أنه من نوع الابتلاء والعقوبة .

فاذا أحسن الظن العبد بربه ، وتفاعل بالخير ، ووطن نفسه على الرضا بالقضاء ، قلب الله ما ظاهره أنه نقمة ، وبذله نعمة وأجرى الأمر على ذلك ، وبالعكس العكس . (٥)

(5) هذا هو الفرق بين العامة والخاصة من الخلق ، فإن العبد الساذج الذي لا يعرف مراد المولى وحكمته في سياسة الخلق ، يجمع بين ثقل البلاء ووزر التبرم به ، فيخسر بذلك صفقة الدنيا والآخرة وأما الخواص الذين فتح الله تعالى لهم أبواب معرفته ، يحولون كل ما يرد عليهم في هذه الدنيا - ونعيماً كان أو بلاءً - إلى زاد في الآخرة ، وشتان بين عمليين : عملٌ تذهب لذته وتبقى تبعته ، وعملٌ تذهب مؤونته ويبقى أجره (المحقق)

فالعبد لا زال بسوء ظنه ، وقلة رضائه بالقضاء ، وشدة انزعاجه من واردات الابتلاء ، يستجلب لنفسه بلاءً فوق بلاء ، ويقلب ما عليه نعمة إلى الوبال والنقمة .

وفي (الجواهر السنوية) عن الرضا (ع) ، عن أبيه (ع) ، عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) :
أوحى الله إلى نبي من أنبيائه أن : أخبر فلاناً الملك أي متوفيه إلى كذا وكذا .

فأتاه ذلك النبي فأخبره ، فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير ، فقال : يا رب ،
أجلني حتى يشب طفلي ، وأقضي أمري .

فأوحى الله إلى ذلك النبي : أن أعت ذلك الملك ، فاعلمه أي قد أنيت في أجله ، وزدت في عمره
خمس عشرة سنة .

فقال ذلك النبي : يا رب ، أنت تعلم أنني لم أكذب قط ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : إنما أنت مأمورٌ ، فأبلغه ذلك ، والله لا يُسأل عما يفعل [الجواهر السنوية : ١٢٣ ..] انتهى الحديث الشريف .

فلا شكّ أنّ الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ ، والالتجاء إليه ، وحسن الظنّ به ، ومبادرة الأمر بالصدقة ، والدعاء ، وصلة الرحم ، لها تسبّب في تبديل وإردات القضاء .
اللهم !.. إن كنت عندك شقياً ، أو محروماً مقترأ عليّ رزقي ، فاكتبني عندك سعيداً مرحوماً ، داراً عليّ رزقي ، فإنك قلت في كتابك :
{ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب } وصلى الله على محمد وآله الطاهرين . البحار : ١٣٥/٨٧ ..

فيا أخي !.. كيف لا يرضى العبد بقضاء ربّه؟!.. وقد روى الرضا (ع) عن آبائه (ع) ، عن رسول الله (ص) أنّ الله يقول :
يا بني آدم !.. كلّم ضالّاً إلا من هديت ، وكلّم عائلاً إلا من أغنيت ، وكلّم هالكاً إلا من أنجيت ، فاسألوني أكفكم وأهدكم سبيل رشدكم .
إنّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفاقة ، ولو أغنيته لأفسده ذلك .
وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ، ولو أمرضته لأفسده ذلك .
وإنّ من عبادي لمن يجتهد في عبادتي وقيام الليل لي ، فألقي عليه النعاس نظراً مني له ، فيرقد حتى يصبح ، ويقوم حين يقوم وهو ماقتٌ لنفسه ، زار عليها ، ولو خلّيت بينه وبين ما يريد لدخله العجب بعمله ، ثم كان هلاكه في عجبه ورضاه عن نفسه ، فيظنّ أنه قد فاق العابدين ، وجاز باجتهاده حدّ المقصرين ، فيتباعد بذلك مني وهو يظنّ أنه يتقرّب إليّ به .

ألا فلا يتكلّ العاملون على أعمالهم وإن حسنت ، ولا ييأس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم وإن كثرت ، ولكن برحمتي فليثقوا ، ولفضلي فليرجوا ، وإلى حسن نظري فليطمئنوا ، وذلك أي أدب عبادي بما يصلحهم ، وأنا بهم لطيفٌ خبير [. البحار : ١٤٠/٦٨] .. انتهى الحديث الشريف .

دقائق الملاحظات

مما نبه عليه أهل البيت شيعتهم

في باب الرضا بالقضاء

واعلم أنّ لأهل البيت تنبيهات على مقامات عالية في الرضا بالقضاء ، فهنيئاً لمن تنبّه لها ، وعثر عليها ، فإنها من كنوزهم (ع) التي أودعوها صفحات الكتب ، عسى أن تصل إلى أهلها مع علمهم بقلائهم ، وقليل ما هم ، وقليل من عبادي الشكور .

فرجونا أن يشرّف الله كتابنا هذا ، بجمع نبيّ منها ما لم يجتمع في غيره ، فإنّ عمدة قصدنا فيه الإشارة إلى ما لم يُسَطّر ، أو الانتقاد لما قد سطر ، ما لم يصدر من عين صافية .

فمنها أنهم ألزموا أنفسهم بعدم الانتصار لأنفسهم في مقامات الابتلاء ، بل يتلقون البلاء بالتسليم والصبر ، حتى يجيئهم الأمر الخاص بتدارك وارد البلاء ، ودفعه بالدعاء .

ولذلك كان يظهر عليهم في بعض الأحوال حال الخضوع لله والانكسار بين يديه ، لفقد أدنى الأشياء من الغذاء والماء ، مع تمكينهم من كلّ شيء بالدعاء ، فما ذلك إلا لما لزموا به أنفسهم وقيدها بعدم الانتصار لأنفسهم بالدعاء ، وترجيح جانب الصبر عليه ، مع تخييرهم بين الاصطبار والانتصار ، إلا أنّ أفضل الفردين عندهم الاصطبار ، وهم لا يتركون الأولى أبداً حتى يجيئهم الأمر الخاص بترجيح الفرد الآخر .

يفصح عن هذا المعنى قضية علي بن الحسين (ع) لما شكوا إليه بعض شيعته الحاجة ، فبكى الإمام (ع) رحمةً له ، فقال له: يا سيدي ، وهل يُعَدُّ البكاء إلا للمصائب والمحن الكبار ؟ !.. فقال له: وأي محنة ومصيبةٍ أعظم من أن يرى المؤمن بأخيه فاقه ولا يقدر أن يسدها . فخرج ذلك الشيعي من عند الإمام متحيراً ، فبلغه قول النصاب : ما أعجب أمر هؤلاء !.. ساعة يدعون أنّ السماوات والأرض تطيعهم ، وأنّ كلّ شيءٍ بأيديهم ، وساعةً يعجزون عن إعانة بعض شيعتهم بشيءٍ يسير !.. فرجع ذلك الفقير إلى الإمام (ع) قائلاً : مصيبتني بكلام هؤلاء النصاب أعظم من مصيبتني بفقرتي ، وشدة حاجتي . فقال الإمام (ع) : ويلهم !.. أما علموا أنّ الله أولياء لا يقترحون على الله !.. يا عبد الله !.. قد أذن الله بفرجك ، ثم أعطاه فطوره وسحوره .. ففرّج الله عنه بذلك فرجاً عاجلاً ، ورزقه درّةً عظيمةً في جوف سمكة ، فباعها بمالٍ غزير ، ثم ردّ القرصين إلى الإمام (ع) . [البحار : ٤٦ / ٢٠ باختلاف الألفاظ ..] والحكاية مشهورة ومحلّ الشاهد منها قوله : "أما علموا أنّ الله أولياء لا يقترحون ."

ونظيرها قضية سلمان الفارسي (ره) لما ابتلي باليهود وهم يضربونه ويقولون: لم لا تدعو الله بمحمد وعلي أن يعجل بهلاكنا ، ويخلصك من أيدينا ؟ !.. فيقول لهم : الصبر أفضل ، وأنا أدعو الله أن يصبرني ، ولعلّ الله أن يخرج من أصلابكم مؤمناً ، فلو دعوت الله عليكم بالهلاك كنت قد قطعت مؤمناً من الإيمان ، فلم يدع عليهم حتى انكشف الحجاب بينه وبين رسول الله (ص) فأمره بالدعاء عليهم ، وأخبره بأنه ليس في أصلابهم مؤمن . تفسير الإمام العسكري : ٦٨ .. والقضية في تفسير الإمام العسكري (ع) عند قوله تعالى : { الذين يؤمنون بالغيب } . [البقرة/٣] .. من أحبها فليراجعها فهي من أعاجيب الدهر ، ولا عجب من تشبّه بساداته حتى أخبروا عنه أنه منهم أهل البيت (ع) . ومن هذا الباب قضية المعراج ، حيث كلف النبي (ص) بخمسين صلاة فلم يراجع ربه ، حتى سأله موسى (ع) المراجعة ، فلم يزل يراجع ، ويخفف عنه وعنهم حتى انتهت إلى خمس صلوات ، فسأله موسى المراجعة ، فقال: قد استحييت من كثرة المراجعة . فأوحى الله إليه : أنك لما صبرت على الخمسة ، فهي لكم عندي بخمسين . [البحار : ٤٨/١٨ باختلاف ..]

فكان التماس موسى ، بمنزلة الأمر الخاص بطلب التخفيف ، وقبل ذلك لم يستبح السؤال ، وقد اشتملت الرواية على ذلك صريحاً لما سئل الإمام (ع) : كيف لم يسأل النبي (ص) التخفيف من الله قبل ذلك ؟ .. والحاصل أنّ كلّ الأنبياء السابقين ، ربما يصدر منهم استعفاء من بعض الابتلاءات ، أو التكاليف الشاقة المتعلقة بأمرهم .

وأما نبينا محمد (ص) وأهل بيته (ع) فلم يتفق لهم الاستعفاء في مقام من المقامات ، لكن لتلقيهم الوارد بالقبول ، يجيئهم العفو تفضلاً ببركة التوطين على الالتزام بما فيه المشقة والامتحان ، فصارت شريعتهم بسبب ذلك أخفّ الشرائع وأسهلها ، حتى قال النبي (ص) : جنتكم بالشرعية السمحة السهلة .

ولقد أجاد عقيل بن أبي طالب بتسليته لأبي ذر حين طردوه إلى الربذة ، فخرج معه علي والحسنان وعقيل ، مشيعين له ، فقال له عقيل في جملة كلام له للتسلية : إنّ استعفاءك البلاء من الجزع ، وإنّ استبطاءك العافية من اليأس ، فدع الجزع واليأس ، وقل : حسبنا الله ونعم الوكيل . البحار : ٤٣٦/٢٢ ..

وقد تقدّم لك أنّ هذه المقامات الدقيقة ، مأنوسةً عند خواص أهل البيت (ع) الذين حظوا بطول الصحبة حتى اقتبسوا من مشكاتهم هذه الأنوار .

ولا يثبطنك الشيطان عن أخذ حظّك من هذه المقامات ، بما ألفاه على ألسنة أهل عصرنا هداهم الله ، من أنّ هذه المعاني مقصورةً على أهل البيت (ع) ، وهي من خواصهم ، فليس الخطاب بها شاملاً لأمثالنا. (٦)

(6) لقد وضع المصنف هنا يده على الجرح إذ أشار إلى تلبيسٍ عظيمٍ من تلبيسات إبليس ، فشتان بين التلبيس في جزئيات الطريق بعد السير فيه ، وبين التلبيس الذي يصدّ العبد عن أصل الحركة في الطريق وهذا هو السر في أن السير إلى الله تعالى صار استثناءً لا يتحقق إلا للنوادر من العباد ، وكان الأصل هو الركون إلى الدنيا ، والتناقل إلى متاعها ، والاكتفاء بأقل الواجب الذي لا يحقق روح الشريعة، ولهذا ترى الذين ينكرون ضرورة هذا السير - الذي دعا إليه القرآن بقوله {فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً} (المزمل/ ١٩) - لا يعيشون حلاوة الشريعة في عباداتها ، ولا يحققون التكامل الجوهري في تشريعاتها (المحقق)

التي تبلغها عقولنا وأحلامنا ولعمري لقد تاهوا تيهاً شديداً ، وضلّوا ضلالاً بعيداً !.. ما هذه المقامات إلا لعبيد أهل البيت (ع) ، بل لأقل عبيدهم والأفهام عنها بمراحل ؟.. ولكن فأما مقاماتهم الخاصة بهم فأين الثريا من يد المتناول ، والأحلام ..حسنة { . الأحزاب/ ٢١ لقول الله: { لقد كان لكم في رسول الله أسوة الآداب لرسول الله (ص) ، ويحكونها عنه ، حتا صار أهل البيت ينسبون كلام الأخلاق ، ومعاني ما ينسب إليه يكون من خصوصياته ، فيبطل الاقتداء ، سبحانه هذا عليها وترغيباً لها ، لا أن كل ..! بهتان عظيم

لما فيه من الأجر والثواب . [ونُقل أنّ أبا ذر الغفاري كان يحبّ المرض ويختاره على العافية ، الأئمة (ع) حكى ذلك ثم قال بعده : لكنّا قومٌ العافية البحار : ١٧٣/٧٨ .. مع اختلاف] .. وعن بعض والمرض وقت المرض أحبّ إلينا من العافية أحبّ إلينا من المرض ،

ينبوع الحكمة والعصمة ، تنبيهٌ على تفضيل درجة الرضا بالقضاء - وفي هذا الكلام الصادر من وشوقاً بالمحبوب أو بالمكروه - على مقام إثثار المكروه على المحبوب رغبةً في ثوابه ، سواء كان إلى جزائه

المكروه ، وكونه أحب من المحبوب وقت تقديره ولا شكّ في ذلك ، فإنها مع مساواتها لها في إثثار اختيار المرض وطلبه عند عدم حصوله - وإن كان تمنّيه رغبةً في وحصوله ، تزيد على ذلك بعدم لمثل النفس به ، بحيث يصير من المشتبهات من المقامات العالية التي لا تتفق إلا ثوابه ، وإرضاء أبي ذر - أن فيه شائبة الاقتراح على الله واعتراضاً على قضائه

وهو مقام الاعتدال الحقيقي ، وأراد الإمام (ع) إزالة هذه الوهمة ، والتنبيه على عوز هذه الحكمة ، الكونين بقوله والاستقامة التامة ، التي أشار إلى صعوبتها سيد قوله تعالى : { فاستقم كما أمرت } . شيبنتي آية في سورة هود . [جوامع الجامع : ١٧٠] .. وهي [هود/ ١١٢] .. صدق الله العظيم

الباب العاشر: فيما يتبع الرضا بالقضاء من التوكل والتفويض والتسليم

اعلم أنّ الإنسان ما لم يسرح نظره في هذه الأبواب ، ويأخذ نصيبه منها لا يذوق حلاوة الإيمان ، وإن كان لأهل الإيمان فيها مراتب ومقامات ، على قدر تفاوتهم فيها تختلف مراتب قربهم إلى الله .

قال الله عزّ وجلّ : {يرفع الله الذي آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} . المجادلة/ ١١ ..
ولقد أجاد القائل حيث يقول :

إلهي بكت للخوف منك عصابة----- وما كل من يبكي لديك له ذنب
ولكنهم للقرب منك تراهم ----- مدامعهم تجري فيا حبذا القرب

ومن أجل توقف الإيمان - الذي هو أعلى درجة من الإسلام - عند المقابلة على حصول هذه المقامات ، كذب الأعراب في دعواهم للإيمان ، حيث قال عزّ من قائل : {قالت الأعراب أئنا لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان، في قلوبكم} . الحجرات/ ١٤ ..

فيا خجلتاه !.. ويا فضيحتاه !.. ممن يكذب في ذلك اليوم في دعواهم للإيمان ، وهو يسمى باسم المؤمن ، وتموّه عليه نفسه أنه من المؤمنين فما أحقه بقول القائل :
كذبتك نفسك لسن من اهل الهوى ----- للعاشقين علائم ودلائل

وليتنا تنبهنا لقول القائل أيضا :

ان كنت تهوى القوم فاسلك طريقهم ----- فما وصلوا الا بقطع العلائق

هذا ونحن نسمع الله يقول { :وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين } . المائدة/ ٢٣ ..
ونسمة يقول : { فلا وَرَبِّكَ لا يؤمنون حتى يُحْكَمُوا فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً } . النساء/ ٦٥ ..

فإذا تحقق توقّف الإيمان على التوكّل والتسليم ، وما في معناهما من التفويض ، فينبغي المبالغة والاجتهاد في تقوية ما هو مناط وصف الإيمان وعليه تدور رحاه .
إذ مدار هذا الحثّ العظيم في الكتاب العزيز والسنة للمؤمنين على الإيمان ولوازمه التي ذكرناها ، حتى أنه عز وجل يقول :

{ يا أيها الذين آمنوا آمنوا } إنما هو تحصيل القدر المعتد به من الإيمان ، بحيث يكون بمنزلة مستوى الخلقة الذي تنصرف إليه الإطلاقات ، ويظهر فيه ترتيب الثمرات .
فأما أقلّ ما يحصل به مسمى الإيمان ، فهو حاصل لهم فلا يكلف بتحصيله ، وأما على الأفراد فهو كمال زائد ، وهو غير محدود بحدّ ، فلا يليق أن ينفي اسم الإيمان بدونه .

فصار الحثّ العظيم على ترتيب المرتبة الوسطى ، التي هي بمنزلة مستوي الخلقة الذي هو الفرد المتيقّن في الامتثال للأوامر المطلقة فما دونه ، كأنه محل شكّ في الإرادة ، وما هو أعلى لو حصل فلا ريب أنه أكمل .

وهذه المرتبة الوسطى هي المعروفة باستجماع المرتبة الوسطى من هذه اللوازم .. فما دونها من المراتب يطلق عليها الاسم نظراً إلى صدق الماهية ، وينفي عنها نظراً إلى أنها ليست المرادة ، ومعظم القصد إلى ما فوقها .

فإذا قد تدبرت هذه الجملة ، فلا مناص عن تشمير الساعد، وبذل الجهد والهمة في تحصيل القدر المعتد به من الإيمان ، بحيث يقطع بصدق اسمه عليه ولا يصح سلبه .

وعليه دلّ الصادق (ع) على ما رواه الكافي بقوله (ع) : إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ، ولا تعرفون حتى تصدقوا ، ولا تصدقون حتى تسلموا ، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها ، ضل أصحاب الثلاثة فتأهوا تيهياً بعيداً . الكافي : ٣٩/٢ ..

وكذلك نبّه أمير المؤمنين (ع) على ما في الكافي ، عن الصادق (ع) ، عن أبيه عن أبيه (ع) ، قال أمير المؤمنين (ع) : الإيمان أربعة أركان : التوكّل على الله ، والتفويض لأمر الله ، والرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله عزّ وجلّ . الكافي : ٤٧/٢ ..

وكذلك بيّنه وشرّحه مولانا موسى بن جعفر (ع) على ما في تحف العقول بقوله (ع) : ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطنه في رزقه ، ولا يتهمه في قضائه .
وسئّل عن اليقين ، فقال : يتوكّل على الله ، ويسلم لله ، ويرضى بقضاء الله ، ويفوض أمره إلى الله .
تحف العقول : ٤٠٨ ..

وكذلك نبّه رسول الله (ص) على ما يلزم الإيمان والمعرفة من الأحوال والصفات ، وعلى ما فقد من درجة أولياء الله ، فقال على ما في الكافي عن الصادق (ع) عن جده النبي (ص) : من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام ، وبطنه من الطعام ، وعفى [في بعض المصادر : عنى] نفسه بالصيام والقيام ، قالوا : بأبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله ، هؤلاء أولياء الله؟ ..

قال : إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً ، ونظروا فكان نظرهم عبرة ، ونطقوا فكان نطقهم حكمة ، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة ، لولا الأجل التي كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم ، خوفاً من العذاب ، وشوقاً إلى الثواب . الكافي : ١٨٦/٢ ..

وكذلك نبّه مولانا علي بن الحسين (ع) على ما يلزم الإيمان والمعرفة ، من الصفات التي للمؤمن والمعارف ، بقوله على ما رواه عنه الطبرسي في الاحتجاج شعراً :
من عرف الله فلم تغنه ----- معرفة الرب فذاك الشقي
ما يصنع المرء بعز الغني ----- والعز كل العز للمتقي
ما ضر ذا الطاعة ما ناله ----- في طاعة الله وماذا لقي
الاحتجاج : ٣١٧ باختلاف ..

فأصل هذه الخيرات ، والذي عليه مدار الأمر في كل هذه المقدمات ، إنما هو دوام مراقبة الله في جميع الحالات ، بحيث لا يغيب عن نظرك ، كما أنك لا تغيب عن نظره . (١)

(1) إنّ ما ذكره المؤلف هنا هو نتيجة ما ورد في كتب الأخلاق ، وهو اللبّ اللباب الذي توصل إليه الواصلون من أولياء الله تعالى فإنّ هذه المراقبة نتيجة للمجاهدة الأولية ، وهي بنفسها مقدمة لمراقبة أخرى شديدة ومستوعبة لكلّ شؤون الحياة فالعابد الذي لا مراقبه له ، كالذي يبذر البذرة هنا وهناك ، في كلّ أرض خصبة وسبخة ، ولا يتعهد بها بنفسه أو مستعيناً بغيره ، بالسقي والإنبات ولو أنه أحاط البذرة بالمراقبة والرعاية ، لاهتزت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج . (المحقق)

وهو قول النبي (ص) لأبي ذر : أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . أمالي الطوسي : ١٣٨/٢ ..

وفي بعض الأحاديث : فإن كنت ترى أنه يراك ثم عصيته ، فقد جعلته أهون الناظرين إليك .

فإذا داومت على مراقبة الله ، وتركت العلائق التي تشغلك عن التوجّه إلى الله والالتفات إليه ، فلا بدّ حينئذٍ أن تشاهد أظافه ، وجميع عناياته بك ، ورأفته وصفحه عنك ، وستره عليك ، وتبديله مساويك بالمحاسن ، وسيئاتك بأضعافها من الحسنات ، فعند ذلك يرسخ حبّه في قلبك ، وتتبعث جوارحك

لطااعته ، كما تنبعث إلى طاعة كلِّ محسنٍ ممن هو دونه ، والقلوب مجبولةٌ على حبِّ من أحسن إليها ، فكيف بهذا المحسن العظيم الرؤوف الرحيم .

ولذلك تنزجر نفسك عن السعي فيما يخالف رضاه ، حياءً من مقابلة الإحسان بالإساءة ، أو رهبةً منه عند استيلاء عظمته على قلبك ، أو خوفاً من انقطاع آلائه عنك ، كما يقول القائل شعراً :
إذا كنت في نعمة فارعها ---- فان المعاصي تزيل النعم

وكذلك عند التفاتك إليه ينمحي عن نظرك كل فاعل سواه ، فلا ترى النافع الضار إلا الله سبحانه وتعالى ، وكلُّ أحدٍ سواه فإنما يتصرّف بإذنه .
فالقلوب لما أعرضت عن الله سبحانه تعلّقت بهذه الأسباب لنسيانها لمسبّب الأسباب ، وإلا فعند ذكرها الله والتفاتها إليه لا ترى للالتفات والتعلق بغيره معنى بالكلية .
وذلك فطري للعقول ، إذ عند التمكن من الاستعانة بالأقوى ، كيف يجوز التثبث بالأضعف ، بل الذي هو لا شيء بالنسبة إلى ذلك؟! .. خصوصاً بعد كون التوجّه إليه مانعاً من إعانة الأقوى لك ، فليس هو إلا كما قال الشاعر :
المستغيث بعمره عند شدته ---- كالمستغيث من النار بالرمضاء

ولهذا لما عرض جبريل (ع) إلى إبراهيم (ع) وهو في المنجنيق ، وقد رُمي إلى النار فقال له: يا أخي يا إبراهيم هل من حاجة؟ ..!
أجابه إبراهيم (ع) : أما إليك فلا .
فجعل الله عليه النار برداً وسلاماً . [البحار : ٣٣/١٢] .. وأنزل الله بشأنه { وإبراهيم الذي وفى } .
النجم/٣٧ ..

فكذا كلٌّ من حصل له الالتفات إلى الله تعالى في ذلك الحال - بنسبة مقامه - يقطع نظره عن جميع الأسباب ، ويقصر نظره إلى مسبّب الأسباب ، وعلامة صدق ذلك ، استقرار صدق قلبه ، وعدم اضطرابه لفقد الأسباب ، بل يكون وجودها وفقدتها على السواء .
حتى سمعت من بعض العارفين - أعلى الله مقامه ، ورفع في الدارين أعلامه - أنه ربما يحصل له اضطراب عند حصول الأسباب واجتماعها ، فإذا فقدت يكمل استقرار قلبه ، ويرتفع عند الاضطراب بالمرة .

وهذا أعلى مقامات التوكل وأصدقها ، وكأنّ منشأ الاضطراب عند حصول الأسباب هو توجّه الأمر الإلهي بملاحظة الأسباب ، فإنّ ملاحظتها مع عدم الاعتماد عليها مطلوبة ومأمور بها ، فلا جرم يتشعب القلب بقدر تصوره لها وذكره إياها . (٢)

(2) إن ما ذكره المؤلف هنا هو نتيجة ما ورد في كتب الأخلاق ، وهو اللب اللباب الذي توصل إليه الواصلون من أولياء الله تعالى .. فإنّ هذه المراقبة نتيجة للمجاهدة الأولية ، وهي بنفسها مقدمة لمراقبة أخرى شديدة ومستوعبة لكلّ شؤون الحياة .. فالعابد الذي لا مراقبة له ، كالذي يبذر البذرة هنا وهناك ، في كلّ أرض خصبة وسبخة ، ولا يتعهدا بنفسه أو مستعيناً بغيره ، بالسقي والإنبات .. ولو أنه أحاط البذرة بالمراقبة والرعاية ، لا هتزت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج .. (المحقق)

فأما إذا ارتفعت وانحصر نظر القلب إلى جهة واحدة ، استقر واطمئن بذكر الله كما وصف الله في كتابه العزيز: { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب } . الرعد/٢٨ ..

وكذلك علامة صدقه ، أن لا يتأثر قلبه على من يمنعه الشيء عند الطلب منه ، بل يجب أن يكون حاله كما كتب بعضهم إلى بعض الحكام ، وقد كتب إليه يطلب منه بعض ما اتّمنه الله عليه من رزقه

، ولنعم ما كتب حيث قال: إن أعطيتني فإله المعطي ، وقد أجرى الخير على يديك ، وإن منعتني فإله المانع ولا بأس عليك ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك .

فمن كان نظره إلى مسبب الأسباب ، وأن الأسباب آلاتٌ مسخرةٌ لا يتأثر قلبه من الآلات ، ولا يغضب عليها .

نعم ، إذا كان من أجرى الخير على يديه لأن يكافئ بالإحسان لم يسقط حقه بكونه مسخرًا ، فإن صاحب الإحسان الحقيقي قد أثبت له عليك حق المكافأة ، وأوجب شكره عليك ، بل لا يقبل منك الشكر إلا بشكرك لمن أجرى الخير على يديه. (٣)

(3) إشارة إلى حالة التفريط التي أتتلي به من لا حظ له من المعرفة الدقيقة.. ومثل هذا التفريط وأشباهه كثير في الذي دخلوا الطريق من دون إمام بقواعده ، ومن دون رجوع إلى أهل الخبرة في سلوكهم.. وبذلك لم يفوتهم الوصول إلى المقصد فحسب ، بل أنهم أساءوا إلى الصادقين من القاصدين ، لأنهم تلبسوا بلباس لا يليق بهم!.. إن مراعاة حقوق الخلق في كل صورته ، لا ينفك عن حقوق الخالق ، فإنه الأمر بمراعاة الحقوق كلها ، سواء كانت مرتبطة به ، أو بعياله من المخلوقين.. (المحقق)

وهذا أصلٌ عظيمٌ قد تغافل عنه بعض إخواننا الأتقياء ، حيث أغلب نظره إلى الله ، فلا يرى للخلق حقاً واجباً في الإحسان الذي يجريه الله على أيديهم ، وهذا خطأ واشتباةٌ عظيمٌ ، وجهلٌ بطريقة أهل البيت (ع) ، وبما نفس الأمر والواقع .

فأما طريقة أهل البيت (ع) ففي الكافي عن علي بن الحسين (ع) : أن الله يقول لعبيده يوم القيامة : أشكرت فلاناً ؟ ..

فيقول : بل شكرتك يا رب .

فيقول : لم تشكرني إذ لم تشكره .

ثم قال : أشكركم الله أشكركم للناس [الكافي : ٨١/٢] .. وهو نصٌ صريحٌ فيما نقلناه .

فأما مخالفة هذه الشبهة الواهية لما في نفس الأمر والواقع ، فبيانها أن أصل هذه الشبهة من العام والمعادين ، حيث أصل النعم من الله سبحانه وتعالى ، وقد أجراها على يد محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين ، فأراد العامة والمعادون أن يقولوا : نحن نشكرك يا رب ، ولا نعرف لهذه الوسائط حقاً ، فردّهم الله ، ولم يقبل شكرهم ، إلا بأن يشكروا لمن أجرى الخير على أيديهم ، فجعل من شكره الاعتراف لمن جرى الخير على يديه بالإحسان ، والشكر له على ذلك ، فقد جعلهم الله الباب إليه ، فكل من لم يأت من الباب طرد وبعد .

وكذلك المعارف والطاعات ، أراد العامة أن يتوجهوا إلى الله من دون واسطة محمد وآله الطيبين الطاهرين (٤)

(4) انتقالٌ جميلٌ من المؤلف من ضرورة مراعاة حقوق عامة الخلق ، ولزوم شكر المحسن منهم ، إلى ضرورة مراعاة حقوق خاصة الخلق يمثلون أرقى صور العبودية في هذا الوجود .. ولقد ختم المصنف في آخر كتابه بمسك الختام ، إذ ربط السير إلى الله تعالى بالارتباط التفصيلي بالهداة إليه.. ومن هنا لا ينقضي العجب من الذين راموا الوصول إلى الله تعالى ، من غير الباب الذي أمرهم بطرقه ، وقد أوصى النبي (ص) بالتمسك بهم إلى جانب كتاب ربه ، فالتارك لهم تاركٌ لما يوجب النجاة عند الاعتصام بالعروتين اللتين لا يكفي إحداها سبباً للنجاة.. وهذا هو السبب في أن التارك لنهجهم (ع) لم يصل إلى درجة من درجات الكمال ، وأن ادعاها بنشره أو أبدى أشواقه بشعره ، فإن الوصول إلى الله تعالى ، لا ينال بالدعاوى والأوهام.. (المحقق)

والردّ إليهم ، والتوجّه بهم ، فردّها الله عليهم ، ولم يقبلها منهم إلا بالتسليم لأوليائه ، والأخذ منهم ،
، ووبالّ عليه وكل ما لم يكن بواسطتهم فهو مردودٌ على صاحبه

سائر الناس شعبة من هذه الشبهة الملعونة ، وإنكار حقّ المحسنين الذين جرى الخير على أيديهم من
من دون تنبّه لأصلها وحقيقتها ، وقد كشفنا القناع عنها جرت إلى قلوب بعض أصحابنا الصلحاء
فيها والله العاصم ليتحرّز من الوقوع
وأفياً ، عثرت عليه في (تحف العقول) للفاضل ويعجبني أن أنقل في هذا الباب حديثاً عجيباً شافياً
قدماء أصحابنا ، حتى أنّ شيخنا المفيد (ره) ينقل عن هذا الكتاب النبي الحسن بن علي بن شعبة ، من
لم يسمح الدهر بمثله ، وهو كتابٌ
الرجل؟ .. فقال : من محبيكم ومواليكم والحديث أنه دخل على الصادق رجلٌ فقال له : ممن

الله عبداً حتى يتولاه ، ولا يتولاه حتى يوجب له الجنة فقال الصادق (ع) : لا يحبّ
.. محبينا أنت؟ ثم قال له: من أي

فسكت الرجل .

..الله؟ فقال سدير : وكم محبّوكم يا بن رسول

فقال له : على ثلاث طبقات

.. يحبّونا في السرّ .. وطبقةٌ يحبّونا في السرّ ، ولم يحبّونا في العلانية طبقةٌ أحبّونا في العلانية ، ولم
الفرات ، وعلموا تأويل وطبقةٌ أحبّونا في السرّ والعلانية ، هم النمط الأعلى ، شربوا من العذب
الأعلى ، الفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع الكتاب ، وفصل الخطاب ، وسبب الأسباب، فهم النمط
البأساء والضراء ، وزلزلوا وفتنوا ، فمن بين مجروح ومذبوح ، إليهم من ركض الخيل ، مستهم
ثمطرون ، بلاد قاصية ، بهم يشفي الله السقيم ، ويغني العديم ، وبهم تُنصرون ، وبهم متفرقين في كلّ
وخطراً وبهم تُرزقون ، وهم الأفلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً
بسيرة الملوك ، فألسنتهم معنا وسيوفهم والطبقة الثانية النمط الأسفل ، أحبّونا في العلانية ، وساروا
علينا

الأوسط ، أحبّونا في السرّ ، ولم يحبّونا في العلانية والطبقة الثالثة النمط

، ترى أحبّونا في السرّ دون العلانية! .. فهم الصوّامون بالنهار ، القوّامون بالليل ولعمري لئن كانوا
أثر الرهبانية في وجوههم ، أهل سلمٍ وانقياد

محبّيك في السرّ والعلانية قال الرجل : فأنا من

والعلانية علامات يُعرفون بها قال الصادق (ع) : إن لمحبينا في السرّ

.. قال الرجل : وما تلك العلامات؟

تلك خلال :قال

والإيمان بعد ذلك بما هو ، وما صفته أولها أنهم عرفوا التوحيد حق معرفته ، وأحكموا علم توحيده ،
وشروطه ، وتأويله ، ثم علموا حدود الإيمان ، وحقائقه ،

..!بهذه الصفة قال سدير : يا بن رسول الله ، ما سمعتك تصف الإيمان

حتى يعلم الإيمان بمن قال: نعم يا سدير ، ليس للسائل أن يسأل عن الإيمان ما هو

..قلت؟ قال سدير : يا بن رسول الله ، إن رأيت أن تقسّر ما

مشرّكٌ قال الصادق (ع) : من زعم أنه يعرف الله بتوهم القلوب ، فهو

..لأنّ الاسم محدث ومن زعم أنه يعرف الله بالاسم دون المعنى ، فقد أقرّ بالطعن ،

ومن زعم أنه يعبد الاسم والمعنى ، فقد جعل الله شريكاً

..ومن زعم أنه يعبد الصفة لا بالإدراك ، فقد أحال على غائب

أنه يعبد الصفة والموصوف ، فقد أبطل التوحيد ، لأنّ الصفة غير الموصوف ومن زعم

الله حق قدره { . ومن زعم أنه يضيف الموصوف إلى الصفة ، فقد صغّر بالكبير ، } وما قدروا

..الأنعام/ ٩١

.. قيل له : فكيف سبيل التوحيد ؟

صفة باب البحث ممكن ، وطلب المخرج موجود ، إن معرفة عين الشاهد قبل صفته ، ومعرفة : قال الغائب قبل عينه

.. قيل : وكيف نعرف عين الشاهد قبل صفته؟

أن ما فيه تعرفه ، وتعلم علمه ، وتعرف نفسك به ، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك ، وتعلم : قال له وبه كما قالوا ليوسف

.. أخي { . يوسف/٩٠ أنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا }

أنفسهم بتوهم القلوب ، أما ترى الله يقول : { ما كان لكم فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره ، ولا أثبتوه من .. النمل/٦٠ . { أن تثبتوا شجرها

. محققاً بهوى أنفسكم وإرادتكم يقول : ليس لكم أن تنصبوا إماماً من قبل أنفسكم ، وتسمونه

الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكّيهم ، ولهم عذابٌ ثم قال الصادق (ع) : ثلاثة لا يكلمهم نصبه الله .. أنبت شجرة لم ينبتها الله - يعني من نصب إماماً لم ينصبه الله - ومن جحد من أليم : من يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم ومن زعم أن لهذين سهماً في الإسلام ، وقد قال الله : { وربك .. الخيرة } . القصص/٩٦

إليه به قال (ع) : معنى صفة الإيمان الإقرار والخضوع لله ، بذل الإقرار والتقرب وأما صفة الإيمان فما دونه إلى آخر باب من أبواب ، والأداء له بعلم كل مفروض من صغير أو كبير ، من حدّ التوحيد بعضه إلى بعض ، موصول بعضه ببعض الطاعة ، أولاً فأولاً ، مقروناً ذلك كله

، مما وصل إليه على صفة ما وصفناه ، فهو مؤمنٌ ، مستحقٌ لصفة فإذا أدى العبد ما فرض الله عليه مستوجباً للثواب الإيمان ،

التصديق بالطاعة كلها ، صغيرها وكبيرها ، وذلك أن معنى جملة الإيمان الإقرار ، ومعنى الإقرار المؤمن من صفة الإيمان إلا بترك ما استحق به أن يكون مقروناً بعضها إلى بعض ، فلا يخرج مؤمناً

المعاصي استوجب واستحق اسم الإيمان ومعناه ، بأداء كبار الفرائض موصولة ، وترك كبار وإنما من الإيمان ، ولا تارك واجتتابها ، وإن ترك صغار الطاعة وارتكب صغار المعاصي فليس بخارج من كبار المعاصي ، فما لم يفعل ذلك فهو له ، ما لم يترك شيئاً من كبار الطاعة ، ولم يرتكب شيئاً مؤمناً ، لقول الله تعالى

.. النساء/١٣ . { تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً إن }

كبائر المعاصي كان مأخوذاً بجميع يعني المغفرة ما دون الكبائر ، فإن هو ارتكب كبيرة من معذباً بها المعاصي ، صغيرها وكبيرها ، معاقباً عليها

.. العقول : ٣٢٥ فهذه صفة الإيمان ، وصفة المؤمن المستوجب للثواب . تحف

اشتمل من تنوع المحبة لأهل البيت (ع) - انتهى ما أردنا نقله ، وله تنمة من أرادها فليطلبها ، وقد .. تنوع الإيمان - على ما لم يشتمل عليه غيره من الأحاديث التي هي عنوان الإيمان ، ومنها يعلم

تقصد ما يوجد مجتمعاً في حديث ، وإن كانت الأحاديث مع جمعها بضم بعضها إلى بعض ، وما لم في هذا الحديث الشريف

بعضها بعضاً ، لا يخالف بعضها بعضاً ، وإنما يرى الاختلاف وكذلك أحاديث أهل البيت (ع) يفسر ويُشار به المقامات التي سبقت لبيانها ، وكل منها يقصد به بيان مقام من المقامات ، فيها لعدم معرفة إلى غيره من المقامات بالإشارة والتلويح ، لينال كل أحده نصيبه

مفسدين { . البقرة/٦ قد علم كل أناسٍ مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض }

الباب الحادي عشر : في أنّ لأهل الإيمان درجات يتفاضلون فيما بينهم في حدودها

فإذا جاء في تعداد درجات أهل الإيمان وسهامهم وأنّ المقداد - رضوان الله عليه - في الثامنة ، وأبا ذر - رضوان الله عليه - في التاسعة ، وسلمان - رضوان الله عليه - في العاشرة .. وما وراء عبادان قرية .

ففي الكافي عن عبد العزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله (ع) :
يا عبد العزيز ..! إنّ الإيمان عشرُ درجاتٍ ، بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة .
فلا يقولن صاحب الاثنتين لصاحب الواحدة : لست على شيءٍ ، حتى ينتهي إلى العاشرة ، فلا تُسقط
من هو دونك فيُسقطك من هو فوقك ، وإذا رأيت من هو أسفل منك درجةً ، فارفعه إليك برفقٍ ، ولا
تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره ، فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره . الكافي : ٣٧/٢ .
وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين .

وقد حال القضاء دون التمام ، فأسال الله الملك العلام أن يخلف علينا من يتمّ هذا الكلام ، ولا يبأس
من رحمته إلا القوم اللئام.